زيارة الامير سعود للبنان



في اوائل الشهر الماضي زار حضرة صاحب السمو الملكي الامير سعود بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية لبنان زيارة رسمية فاستقبل سموه استقبالا منقطع النظير لم يشهد لبنان مثله .وكان لهذه الزيارة الكريمة أثرهـا القوي في الاخاء العربي ولقد نشرت الصحافة اليومية وافاضت محطات الاذاعة كثيراً في وصف الحفلات والاستقبالات التي قام بها لبنان باجمعه مظهراً صادق الحب الذي يكنه للضيف العظيم وللشعب العربي السعودي الشقيق .

ويسر الأديب التي طالما تحدثت الى قرائها عن اخلاص الامير سعود ووعيه ومآثره وما يبذله في سبيل العلم والثقافة والفكر يسرها اليوم ان ترحب بضيف لبنان الكبير .

ننشر فيما يلي الرسالة الكريمة التي وجهها سمو الامير سعود الى الشعب اللبناني عند انتهاء الزيارة ومبارحته لبنان .

الى الشعب اللبناني

•

ارى من واجبي ، وانا اغادر هذا البلد المضياف الطيب في هذا الصباح ان اقدم الى حضرة صاحب الفخامة ، صديقي الرئيس الجليل ، والى الحكومة اللبنانية ، والى كل لبناني في هذه الجمهورية الشقيقة ، اقدم الى كل هؤلاء تحيتي الاخوية الصادقة ، وشكراً صادقاً صادراً من صميم قلبي ومن جميع مشاعري على ما غمرني به الجميع من حسن الوفادة وكرم الضيافة وعلى الترحيب الاخوي الذي وجه الي في كل مكان زرته ، ومن كل لبناني مررت به او لقيته في هذه البلاد .

لقد تأثرت تأثراً عميقاً لما سمعت ورأيت وتيقنت من كل ذلك ان العرب في كل مكان ، اخوان يشد بعضهم بعضاً ويعاضد بعضهم بعضاً ، ويحب بعضهم بعضاً ، وان الوطن العربي الاكبر واحد مهما تعددت اسماء اجزائه وتباينت الوان اديمه .

ولهذا ، فاني اذ آسف لفراقكم اليوم اؤكد لكم ان حب لبنان واكباره والاعجاب به يملأ قلبي ، وسيبقى هذا الحب وذاك الاكبار وذلك الاعجاب على مر الايام صلة قوية بينه وبين بلادي وامتي في المملكة العربية السعودية على مر الازمان .

عاش لبنان شقيقاً للبلاد العربية السعودية ، وعاش الشعبان اللبناني والسعودي اخواناً متحابين في العسر واليسر ، وفي الآلام والآمال

سعود بن عبد العزيز

أغنيــة نفسى للشاعــر ولت وتمــن

« يسف الصقر الأرقط ويمر بي متهما إياي متذمراً من ثرثرتي وتسكعي »

« ولكنني انا ايضا لا اروض ، وانا ايضا لا اترجم ، فافوه بنعقتي البربرية فوق أسطح الدنيا...»

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

«... هذا الخليط من التفيهق والذاتية والسوقية والهذر. وتبرز وحشية المؤلف في وصفه لنفسه ، فلا نجد شيئاً خيراً من السوط مكافأة له على انتهاكه للحشمة في هذا الكتاب الذي يقدمه لنا.. يجب الا يجد هذا الكتاب مكاناً بين قوم يتمسكون بفضيلة احترام النفس ، ويجب ان يطرد المؤلف من كل مجتمع مهذب كمن هو احط من البهائم . »

هذا بعض ما قالته احدى جرائد بوسطن — وبوسطن ام الثقافة الامريكية في القرن التاسع عشر — تعليقاً على ديوان « اوراق الحشيش » لولت وتمن Walt Whitman عندما ظهر لاول مرة سنة ١٨٥٥ . وكان الشاعر قد قضى حوالي ثماني سنوات ينظم قصائده ، ويوسعها ، ويشذبها ، لكي تعبر عن ذات فسيحة الارجاء ، اتسعت حتى احتوت الكون برمته . ولكن ما أسهل ما يساء فهم شاعر جعل من نفسه رمزاً للانسانية ، وراح يعدد أعضاءه ويتغنى بها ، لانه يتغنى بجسم البشرية نفسها . فهو اذ يقول في مطلع قصيدته الكبرى :

إنني احتفل بنفسي ، واتغنى بنفسي .

يستمر فيقول :

وكل ما أدعيه أنا عليك أنت ان تدعيه .
لان كل ذرة تخصني تخصك أنت ايضا .

ولم يستطع وتمن ان يعبر عن البشرية جمعاء إلا في دفق طاغ ، تتدافع فيه الكلمات بغزارة ، فتخرج على قيود الشعر ، وتحضر الوزن والقافية ، وتعطي في النهاية للشعر المنثور مكانة في الادب الغربي قصر عنها فيما بعد اكثر من قلدوه . غير ان مجلة « الناقد » اللندنية علقت على الديوان بقولها :

« إن معرفة وتمن بالفن كمعرفة الخنزير بالرياضيات . »

لم يبع الشاعر إلا نسخاً معدودة من كتابه الذي أشرف على طبعه بنفسه كلمة كلمة وصفحة صفحة . غير ان رسالة جاءته من شيخ الفكر الامريكي حينئذ ، امرسن Emerson ، ذلك الفيلسوف الشاعر النقاد الذي شحن بشخصيته الجو الذهني في امريكا طيلة الجزء الاكبر من القرن الماضي . لم يكن امرسن يعرف هذا الشاعر الذي ظهر فجأة بكتابه الغريب ، ومع ذلك اعجاباً به كتب له يقول : « ... إني ارى في كتابك اروع قطعة من الخيال والحكمة جادة بها القريحة الامريكية ... اجد فيه أشياء لا تضاهى صيغت في قوالب لا تضاهى... إني احييك في مطلع مستقبل عظيم ... »

ولكن امرسن كان من القلائل الذين ادركوا قيمة ديوان « اوراق الحشيش » حال صدوره ، بينما لم يكن نصيب اكثر النسخ القليلة التي بيعت او وزعت كهدايا إلا ان تطعم النيران اما ولت وتمن فلم ييأس ، ولم يتزعزع ايمانه بشاعريته ، وعندما بلغته رسالة امرسن تدعم رأيه في نفسه ، كاد يرقص من الفرح. فقد كانت تعاليم امرسن تحض على شيئين مهمين : الفردية ، والتغلغل الصوفي في الطبيعة ، وكلا الامرين ينضح به كتاب وتمن ، مع وعي متبلور جديد — الوعي بالجماهير الزاخرة وهي تملأ شوارع المدن والمرافئ والمزارع ، الجماهير التي تمتد وتنتشر في ربوع الولايات الامريكية الشاسعة ، لتبني فيها عالماً جديداً ، لعله يستطيع ان يكون في غنى بفكره وموارده عن العالم القديم.

غير أن الادب الامريكي هو وليد جزء من الساحل الشرقي يسمى « نيو انجلند » ، ونيو انجلند بمدينتها الرئيسية بوسطن ، معروفة بمحافظتها الشديدة وتزمتها الخلقي ، لان زعماء الفكر من سكانها هم في الغالب سليلو المتطهرين الذين هاجروا اليها من انكلترا ، في الثلث الاول من القرن السابع عشر ، طلباً للحرية الدينية — التي لم يكن معناها الا التصلب في مبادئ

الدين ، والعودة الى التعنت العبري الشديد. فلم يكن من الميسور ان يستسيغوا انطلاق وتمن وتحرره ، مع كلفه الملح بالجسد والاعضاء . إلا ان وتمن ادرك ان امريكا ، بعد مئتي سنة من هجرة المتطهرين اليها ، اضحت بلداً له مغزى جديد . فاذا جاء المتطهرون بفكرة المساواة ، فعليهم اذن ان يفعلوا بموجبها، وينشروها في اصقاع البلاد ، فيحرروا العبيد ، ثم ينشروهـا في اقطار العالم . ثم إن بلاده يجب ان يتكاثر الشعب فيها بعد ان تعم الحرية ، فيكون جيلا من الرجال والنساء الصحيحي الابدان ، النظيفي الجسم ، المنعتقين من كل خرافة ، كأنما هم آدم وحواء قبل خروجها من الجنة . وجعل يرى في الجسم الصحيح الروح الفاضلة ، « فالجسم ليس بأكثر من الروح ، ولا الروح بأكثر من الجسم » . ويرى في خصب الجسم خصب الطبيعة نفسها ، حيث تتساوى الاضداد في أهميتها ، فيصبح الرجل مساوياً للمرأة ، والظافر مساوياً للمغلوب ، والشر مساوياً للخير ، والموت مساوياً للحياة — لانها كلها لا تخدم إلا غرض التكاثر والخصب في دنيا وافرة السخاء :

الدافع الدافع الدافع
دائماً وأبداً الدافع التناسلي في العالم ،
ومن الأغوار المعتمة تبرز الاضداد المتساوية ،
مادة ووفر وتكاثر ، الجنس دائماً ،
دائماً حبكة من التشابه ، والاختلاف دوماً، وولادة للحياة أبداً.

ولم يسيء الى إحساس القراء في اول الامر شيء بقدر صراحته كلما تعرض للعلاقة الجنسية، وراح يصور قوى التناسل كأنها نوافير الحياة تتفجر حارة لذيذة ، ولا تشوبها الخطيئة . بل إن امرسن بعد بضع سنوات اقترح على وتمن ان يرفع تلك العبارات لكي يلقى الديوان النجاح الذي يستحقه ، ولكن وتمن رفض ، لانه لم ير فيها إلا جزءاً متمماً لخطة كتابه ، يكون بدونها ناقصاً ضعيفاً .

إن رجلا له هذه النفس الكبيرة ، وهذه الذات المترامية الجوانب ، لا يقبل الهزيمة . فراح يكتب في جرائد مختلفة مقالات بدون توقيع يمدح بها ولت وتمن ، هذا الصوت الملعلع الجديد المتنبئ بالديمقراطية ! [وكانت هذه الكلمة عنده مغموسة في السحر ، كأنها كلمة الحب .] ومن الممتع انه لم يجد ضيراً من هذا الاطراء على النفس متنكراً ، بل إنه كذب على امرسن اذ قال له في كتاب مفتوح ، عند اصداره الديوان من جديد بعد سنة — رغم ما كلفه ذلك من نفقات لا يتحملها — إنه طبع الف نسخة من كتابه ، فبيعت كلها في الحال !

ولم يكل الشاعر عن التوسيع والتشذيب والاضافة ، ميقناً ان الجماهير التي يشدو بذكرها ويساويها بالآلهة ، ستقبل على شعره يوماً من الايام . غير ان الذين افتتنوا « بأوراق الحشيش » كانوا في الغالب من الكتاب والشعراء ، ولا سيما حلقة دانتي غبرييل روزتي وسوينبرن * في انكلترا ، وكلاهما من كبار ادباء الانكليز . فقد رأوا فيه اسلوباً جديداً وحيوية فياضة كان الشعر في حاجة اليها . ورأوا فيه كذلك وقفة كوقفة نبي تنم كلماته عن معرفة « لذات السماء وآلام الجحيم » :

أنا شاعر الجسد وأنا شاعر الروح ،
لذات السماء معي ، وآلام الجحيم معي ،
اطعم الاولى على نفسي فازيدها، واترجم الثانية الى لسان جديد.

ولم تجئ وقفة النبي هذه عفواً لأن وتمن نماها في نفسه وكلامه وشكله ولباسه عن وعي وارادة . فهو من مواليد « مانهاتن » [وهي الآن جزء من نيويورك] ولم يبرز في المدرسة في صباه ، فتركها واشتغل بصف الاحرف في احدى المطابع [مما جعل له حساسيه خاصة لشكل الكلمات المرصوفة في قصائده] ، ثم صار صحفياً ، الى ان عين محرراً لجريدة « النسر » النيويوركية . ولكنه قبيل بلوغه الثامنة والعشرين كتب مقالا افتتاحياً يدعو فيه الى تحرير العبيد [الذي لم يتم الا بعد خمس عشرة سنة نتيجة للحرب الاهلية] ، فطرد من وظيفته . وعندئذ بدأ ينظم الشعر المنثور ــ وقد كتب شيئاً من الشعر الموزون المقفي ولكن فيضه العاطفي والفكري لم يتحمل عسف العروض ــ وراح يقضي الساعات في التمشي و« التسكع » في طرقات نيويورك والمدن الساحلية الاخرى الى ان ذهب جنوباً الى « نيوأورلينز » ، تلك المدينة المرحة ، « المتسامحة في كل شيء سوى عدم التسامح » ، حيث اختلط بالبحارة والزنوج والمهربين والحمالين والتجار ، وكل ما هب ودب في الميناء من ضروب الانسانية . وعرف هناك الحب ، ورأى الكوليرا تكتسح المدينة وتنتشر في انحاء البلاد ولما عاد الى نيويورك كان قد عقد النية على ان يكون شاعراً لا غير، وان يقف في الناس ليسمعهم نبوة الحياة الفياضة المفعمة بالبشر والسعادة .

وقد دهش معارفه حين رأوه يعود اليهم ، وقد تخلى عن لباسه الانيق [بالفرك كوت والتوب هات] ، وارتدى بدلة نجار . وقد ضحك الكثير من هذه الوقفة المصطنعة ، ولكنه

* جدير بالذكر هنا ان هذان الشاعران هما اللذان « اكتشفا » ايضا ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام ، فذاعت في العالم بعد ذلك .

لم يحفل إلا بذلك الكتيب الذي يحمله دائماً ، ليدون فيه خواطره كلما سنحت له وهو يتجول بين الجماهير ويحتك بسواق العربات والعمال كما يحتك بالساسة والصحفيين . وعندما كان في السادسة والثلاثين نشر ديوانه ، وكانت « اغنية نفسي » اهم قصيدة فيه . وهي تعبر عن تلك الـ « أنا » الهائلة الاتساع ، التي امتزجت فيها اجيال البشرية ، زبدتها ونفايتها :

بين ثناياي عديد من أصوات طويلة بكماء ،
أصوات أجيال لا تنتهي من المساجين والعبيد ،
أصوات للمروضين واليائسين
واللصوص والاقزام ...

ولكن رسالتها رسالة التفاؤل ، اذ يراها الشاعر تنبت وتملأ الرحاب وقد تبدلت بايمانها بجودة الارض والحياة وقدسية الانسان وكل شيء ينمو فيرى الناس عشاقاً له :

عشاقي يخنقونني ،
مزدحمين على شفتي ، متراصين في
مسام جلدي ،
يدافعونني في الشوارع والردهات
العامة ...

فهو يشعر انه قد تشرب بلاده في جسده ، وان شعوب الارض والاجناس المتضاربة قد اتحدت في نفسه بدماء البشرية وان عليه ان يحتوي الانسانية جمعاء في معانقته الكونية : «لقد فكرت فيك ملياً قبل ان تولد...»

ولم تمر خمس سنوات ـ حين ظهرت طبعة جديدة موسعة لديوانه ـ حتى جعل الذوق يتحول في اتجاهه ، وان يكن في بطء ، واختلطت شخصيته ووقفته بمضمون شعره . فقالت فاني فيرن في احدى المجلات : « ها هوذا ولت وتمن قادماً ... لقد انحسرت ياقة قميصه عن حنجرة خليقة بالفحول ، كتفاه منذ فعتان الى الوراء ، كأن رئتيه ، رغم ذلك الصدر الواسع الجميل ، لا تجدان متسعاً كافياً لهما ... لاحظوا صوته : قوي ، عميق ، صاف ... اسمعني صوت رجل ما اخبرك من اي معدن صنع صاحبه . »

قامة مديدة منتصبة ، وشعر كث طويل ، ولحية ضافية تطرق اليها الشيب قبل اوانه ، ونظافة جسدية تتألق فيها بشرة وردية ناعمة ـ هكذا عرف وتمن فيما بعد . ولم يشرب او يدخن يوماً ، محافظاً على تلك النقاوة التي يعتز بها . وقد جمع بين نقيضين كان يعتقد بوجوب توفرهما في المرء : المقدرة على استيعاب كل لون من الوان الحياة والتجربة الى درجة فقدان الهوية ، تقابلها ذاتية مركزة تجعل له شخصية بارزة قوية .

قال : « ان للديمقراطية مبدأ ، هو المعدل العادي ، وهذا المبدأ يقترن بمبدأ آخر لا غنى له عنه ، ويناقضه [كما يناقض الذكر الانثى] ويؤثر فيه واحياناً يعاكسه ويحاربه ، وليس لاحدهما نفع بدون الآخر ... ذلك مبدأ الفردية ، عزلة المرء في انطواء نفسه ـ الهوية ـ الشخصية . » فهو في فرديته قوة لا تروض ولا تترجم ، وكالصقر المحلق :

أفوه بنعقتي البربرية فوق سطح
الدنيا
واروح كالهواء ، اهز بخصلات
لمتي في وجه الشمس الهاربه ...

واذا كان في هذا الموقف تناقض منه ، فلا بأس لأن :

عظم الاتساع أنا ، واحتوى
الجموع الزاخرة .

الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا
عن صورة زيتية بريشته

ولكن صوفيته الشاملة تجعل منه في النهاية جزءاً من الطبيعة بالمخلوقات والكون إذ :

أبث جسدي في دوامات المياه
وأخلف نفسي للزبل لانمو من الحشيش الذي أعشقه .
إن اردتني ، فابحث عني تحت نعل حذائك .

لاريب ان «اغنية نفسي» اعظم قصيدة انتجتها التربة الامريكية*

---

* تقع القصيدة في حوالي الفي بيت ، ولكن آمل ان ما ترجمته منها هنا يكفي للدلالة على خطتها ونموها وتنوعها ومرماها . [ج . ا . ج]

أغنية نفسي

إني احتفل بنفسي ، واتغنى بنفسي .
وكل ما ادعيه أنا عليك انت ان تدعيه .
لأن كل ذرة تخصني تخصك أنت ايضاً .

تعال اقض يومك هـذا وليلك عندي تحصل على مصدر القصائد كلها ، تحصل على طيبات الارض والشمس [ما زالت هناك ملايين من الشموس] ، فتقلع عن أخذ الاشياء بعد ان مرت عن يد ثانية وثالثة ، ولن تنظر في عيون المـوتى ، او تقتات على الاشباح في الـكتب ، ولن تنظر في عيني أنا ايضاً ، او تأخذ الاشياء عني ، بل ستصغي الى كل ناحية فتقطرها من نفسك أنت .

الدافع الدافع الدافع
دائماً وابداً الدافع التناسلي في العالم ،
ومن الاغوار المعتمة تبرز الاضداد المتساوية ، مادة ووفر وتكاثر ، الجنس دائماً ،
دائماً حبكة من التشابه ، والاختلاف دوماً ، وولادة للحياة أبداً .

إني لاذكر كيف اضطجعنا في الصباح الشفاف ذات صيف ،
وكيف استقر رأسك على فخذي وتقلبت بلطف علي ،
وكشفت القميص عن عظام صدري ، واهويت لسانك في قلبي المعرى ،
وامتدت يداك حتى مستا لحيتي ، وامتدت يداك حتى مستا قدمي .

قال طفل : « ما الحشيش ؟ » وجاءني منه بحفنتين .
أنى لي ان اجيبه ، وانا لا اعرف عنه اكثر منه ؟
لعله لواء طبعي ، نسيجه من مادة خضراء ملأى بالأمل .
او لعله منديل ربي .
هدية معطرة اسقطت للذكرى عن عمد ،
تحمل اسم صاحبها في احدى الزوايا ، لكي نراه فنقول متسائلين : لمن ؟
او لعل الحشيش نفسه طفل ، وليد النبت والخضرة .
او لعله زي هيروغليفي
معناه : انني اينع في الحقول العريضة والحقول الضيقة ،
وانبت بين السود والبيض على السواء .
والآن يبدو لي أنه شعر القبور الجميل لم يقصه المقص .
لن أعاملك إلا باللطف أيها الحشيش المتلوي .
فلعلك بزغت من صدور شباب قضوا .
شباب ربما لو عرفتهم لعشقتهم ،
او لعلك نبتّ من شيوخ عجائز ، او مـن اولاد انتزعوا باكراً من أحضان امهاتهم ،
فأصبحت هنا أحضان الامهات .

ليتني استطيع ان افسر هذه الرموز عن موتى الشباب والغيد ،
وتلك الرموز عن الشيب رجالا وامهات ، واولادهن المنتزعين باكراً من احضانهن .
ما الذي تظن جرى للرجال شيباً وشبابا ؟
ما الذي تظن جرى للنساء والاطفال ؟
إنهم احياء يتمتعون في مكان ما ،
وأصغر النبت يدل على ان الموت فعلا غير موجود ،
واذا وجد فانما اقتاد الحيـاة قدماً ، ولم يتربص لها في النهاية ليمسك بها ،
ثم انتهى حالما ظهرت الحياة .
كل شيء في حركة الى الامام والى الخارج ، ولاشيء يتداعى ،
والموت يختلف عما يظنه اي انسان ، واسعد حظاً .
أجيء ومعي الموسيقى تصدح ، بأبواقي وطبولي ،

ولا اعزف للظافرين فقط ، للمغلوبين والقتلى ايضاً .
أسمعتهم يقولون إن النصر حسن ؟
اقول إن السقوط مضرجاً بالدم حسن ايضاً ، فالمعارك يخسرها اصحابها بنفس الروح التي بها يربحونها .
إني أضرب واشتد في الضرب من أجل من ماتوا ،
وانفخ في مزامري اعلى وامرح الأغاني من اجلهم .

مرحى للذين قد اخفقوا !
وللذين غرقت سفنهم الحربية في مياه البحر !
وللذين غرقوا هم ايضاً في مياه البحر !
ولكل القواد الذين خسروا القتال ، ولكل المغلوبين من الابطال !
ولكل الابطال المجهولين الذين لا يعد لهم عديد ويساوون اعظم الابطال المعروفين !

ها هي ذي المائدة قد مدت بالتساوي للجميع ، وها هوذا الطعام للجوع الطبيعي ،

وهو للطالحين كما هو للصالحين ، إني اضرب المواعيد مع الجميع
ولن اقبل ان يهمل احد او يمس شعوره بشيء ،
فالخليلة المستعدة ، والطفيلي ، واللص ، كلهم مدعو هنا ،
والعبد بشفتيه الغليظتين مدعو ، والمصاب بمرض جنسي مدعو ،
وليس بينهم وبين الآخرين من فرق .

هذا ضغط من يد خجول ، وهذا تماوج شعر ورائحته ،
وهذا ملمس شفتي على شفتيك ، وهذا همس الحنين ،
وهذه أغوار وذرى بعيدة تعكس وجهي ،
وهذه نفسي تمتزج بتأن ، وهذه هي تخرج مرة اخرى .

اتظن ان لي من ذلك غاية معقده ؟
أجل إن لي من ذلك غاية ، كما لزخات المطر في نيسان غاية ، كما لذرات المعادن في جوانب الصخرة غاية .

أنا شاعر الجسد وانا شاعر الروح ،
لذات السماء معي ، وآلام الجحيم معي ،
اطعّم الاولى على نفسي فأزيدها ، وأترجم الثانية الى لسان جديد .

أنا شاعر المرأة كما انني شاعر الرجل ،
واقول ان المرأة عظيمة كالرجل ،
واقول ليس هناك ما هو اعظم من الرجال .

اضغط ، وزد ضغطا ، يا ليلا عاري الصدر — زد ضغطاً يا ليلا مغناطيسيا مغذيا !

يا ليل رياح الجنوب — ليل النجيمات القلائل الكبار !
يا ليلا يتمايل ابدا — يا ليلا عارياً قد جن في الصيف !
وابتسمي ايتها الارض اللذيذة شهوة ، الباردة انفاسها !
يا ارض الاشجار السيالة الوسنانة !
ارض الغروب الراحل — ارض الجبال يعلوها الضباب !
يا ارضا صب عليها البدر دفقه اللماع بالازرق مموها ،
يا ارضا ترقط ثبج النهر بريقها وظلالها !
ارض السحب الشهباء الصافية ، التي اشتدت من اجلي وهجاً وصفاء !
ايتها الارض التي احتوت المسافات بين ذراعيها ، غنية بنوار تفاحها !
ابتسمي ، فقد دنا حبيبك .
ايها المسرف ، اعطيتني حباً — خذ مني حباً مثله .
يا للهوى الجامح الذي قد عجز اللسان عن وصفه !

انا لست شاعر الخير فحسب . انى لا ارفض ان اكون شاعر الشر ايضا .
ما هذا الهذر عن الفضيلة والرذيلة ؟
فالشر يحركني واصلاح الشر يحركني، اما انا فاقف غير ميال،
فليست مشبتي مشية من يبرز العيوب ويكثر الرفض .
إني لارطب جذور كل شيء ينمو ويترعرع .

ولت وتمن ، كوْن ، ابن لمنهاتن ،
ثائر ، جسدي ، شهواني يأكل ويشرب ويتناسل ،
لا مائع العواطف ، ولا يعلو بنفسه على الرجال والنساء ،
ولا يتنكب عنهم ، ولا يزيد تواضعه عن عدم تواضعه .

بين ثناياي عديد من اصوات طويلة بكماء ،
اصوات اجيال لا تنتهي من المساجين والعبيد ،
اصوات الممروضين واليائسين واللصوص والاقزام ،
اصوات دورات من التمهيد والتراكم ،
والخيوط التي تربط بين النجوم ، والارحام ونطفة الآباء ،
وحقوق الذين داسهم الغير ،
والمشوهين والعاديين والفاهين والحمقى والمحتقرين ،
والضباب في الهواء ، والصراصير تدحرج كريات من زبلها .

بين ثناياي اصوات محرمة ،
اصوات الجنس والفحشاء ، اصوات محجبة ارفع عنها الحجاب
اصوات خليعة انقيها وابدل اشكالها .
أنا لا ازم باصابعي على شفتي ،
بل استبقي النعومة حول الاحشاء كما استبقيها حول الرأس والقلب ،
وما المضاجعة عندي باقبح من الموت .

اومن بالجسد والرغبات ،
فالرؤية والسمع واللمس معجزات، وكل جزء مني معجزة .
أظن ان في وسعي ان اذهب واعيش مع الحيوانات ، فهي مستكينة ضابطة لنفسها .

وإني لاقف واطيل النظر اليها .
فهي لا تعرف جهدا ولا تئن متشكية من احوالها ،
ولا تأرق في الظلام وتبكي لخطاياها ،
ولا تضيق صدري بحديثها عن واجبها تجاه ربها ،
وليس بينها حيوان يتذمر ، او حيوان ضاع رشده سعياً وراء المقتنيات ،
لا يخر احدها ساجدا لآخر ، او لبني جنسه ممن عاشوا قبل آلاف السنين ،
وليس بينها واحد «محترم» او بائس على وجه البسيطة كلها .
نداء في وسط الجمهور المحتشد ـ
ذلكم صوتي : ممتلئ جارف حاسم .

تعالوا يا صبيتي ،
تعالوا يا اولادي وبناتي ، ونسائي ، واهلي ورفقتي ،
فسوف يشد العازف اعصابه ، بعد ان فرغ من فاتحة لحنه على المزمار في داخل نفسه .

هنا وهناك تَراهم يتمشون والدراهم على عيونهم ،
والعقل يلقمهم بسخاء ليطعم البطن النهم ،
يشترون التذاكر ، آخذين ، بائعين ، ولكن الى الوليمة ولو مرة غير ذاهبين ،
الكثر يعرقون ويحرثون ويذرون ، واجرآهم التبن يأخذون
والاقلاء يملكون خاملين ، والحنطة دوماً يطلبون .

هذي هي المدينة ، وانا احد سكانها .
وما يهم الغير يهمني ، السياسة والحروب والاسواق والجرائد والمدارس ،
ورئيس البلدية ، والمجالس ، والمصارف ، والمكوس ، والبواخر ، والمصانع ، والاسهم ، والمخازن والعقارات والاراضي
كل ما هو معروف القي به عني ،
واقذف بالرجال والنساء جميعهم في غمرة المجهول .
تدل الساعة على اللحظة هذه ، ولكن ما الذي تدل عليه الابدية ؟

هل كانت الانسانية حسوداً لك ، فتاكة بك ، يا اخي ويا اختاه ؟
إني آسف لكما ، فهي لم تحسدني ولم تفتك بي ،
وكل شيء بيننا وديع ، ولا احفظ حسابات النحيب ،
[مالي وللنحيب ؟]
إني قمة الاشياء التي تم صنعها ، وفيّ احتوي الاشياء المقبلة .
عشاقي يخنقونني ،
مزدحمين على شفتي ، متراصين في مسام جلدي ،
يدافعونني في الشوارع والردهات العامة ، ويأتونني عراة في الليل ،
وفي الليل يصيحون من على صخور النهر « أهوي ! »
مرفرفين ومزقزقين فوق رأسي ،
يهتفون باسمي من احواض الزهور ، ومن بين الدوالي والشجيرات المتواشجة ،
ويحطون على كل دقيقة من حياتي ،
يقبلون جسمي قبلات بلسمية ،
ويخرجون حفنات من قلوبهم صامتين ويعطونها قلبي .

كفاك ما حلمت من احلام حقيرة !
إني اغسل القذى عن عينيك ،
وعليك ان تعود نفسك على بريق الضوء ولألاء كل دقيقة من حياتك .

طالما خضت المياه خائفاً ممسكاً بخشبة قرب الشاطىء .
اما الآن فاريدك ان تكون سباحاً جريئاً ،
تلقي بنفسك في خضم البحر ، ثم تعلو ثانية وتلوح لي وتصيح ، وتضحك اذ تقتحم الموج وشعرك طائر .
اما انت ايها الموت ، يا عناق الفناء المر ، فعبثاً تحاول ان تفزعني ،
الماضي والحاضر في ذبول ـ لقد ملأتهما ، وافرغتهما ،
وها أنا استمر فأملأ ثنايا المستقبل .
ايها المصغي هناك ! اعندك ما تسره في اذني ؟
انظر في وجهي وانا انتشق عطر المساء ،
[وتكلم باخلاص ، فليس من يسمعك غيري ، ولن امكث الا دقيقة اخرى]
اتراني اناقض نفسي ؟
حسناً إذن ، انني اناقض نفسي ،
عظيم الاتساع انا ، واحتوي الجموع الزاخرة .
لقد ركزت همي في الذين هم قربي ، انتظرهم على عتبة الباب .
من فرغ من عمل يومه ؟ من ينتهي من عشائه قبل غيره ؟
من يريد المشي معي ؟
تكلم قبل ان اذهب . ام انك ستبطىء فيفوت الاوان ؟
يسفّ الصقر الارقط ويمر بي متهما اياي ، متذمراً من ثرثرتي وتسكعي .
ولكنني انا ايضاً لا أروض ، وانا ايضاً لا اترجم ،
فافوه بنعقتي البربرية فوق اسطح الدنيا .
واروح كالهواء ، واهز بخصلات لمتي في وجه الشمس الهاربة ،
وابث جسدي في دوامات المياه .
واخلف نفسي للزبل لأنمو من الحشيش الذي اعشقه .
إن اردتني ، فابحث عني تحت نعل حذائك .
لن تكاد تعرف من انا او ماذا اعني ،
ولكنني ، الى ذلك ، ساكون صحة طيبة لك ،
واتمشى في دمك ولفائف لحمك .
فاذا لم تجدني بادئ الامر ، تشجع ،
واذا افتقدتني في مكان واحد فتش في مكان آخر .
لقد وقفت في مكان ما في انتظارك .

أمريكا ـ جامعة هارفرد

جبرا ابراهيم جبرا

صلاة

☆

لَفّني والدجى على هذه الصحراء سحر منمنم مجهول
لفني والدجى فأُفنتْ كلينا سعة من جلاله وشمول
أي سر نريد في الكون والكون مُعنّى بسرنا مشغول
نحن كون لا كائنان ضعيفان : ألحّ الهوى وتمّ الوصول
وعلى كل نهلة من شذانا شفةٌ عندم وخد أسيل
وحنين الى السماء كما حنّ الى نعمة الشفاء العليل

***

ربّ : روحي طليقة في سمواتك والجسم موثق مغلول
بَعُدَ الفرق بين روحي وجسمي جسدي آثم وروحي بتول
أنت يا ربّ غاية والى الغاية أنت الهدى وأنت السبيل
لك حبي . ومنك حبي . فهل يُعطى مِنَ السائل الكريمُ المُنيل
لك حبي . فهل لفقري اذا اهدى الى كنزك الغنّي قبول
عبراتي عبادة وابتهال وشهيقي التكبير والتهليل
وصلاتي تأمل . ومناجاتي خشوع . وزفرتي ترتيل
وبلائي أنّ النعيم الذي أرجو نعيم مسوّف ممطول
لم يضعْ في الظلام نورك عن قلبي فقلبي الى سناك الدليل
معدن الخير والجمال المصفّى وجهك الخيّرُ الكريم الجميل
وأنا السائل الملحّ ويجلو وحشةَ الذل . أنك المسؤول
وبيمناي ألف كنز عطاياك وما في يديّ إلا القليل
ربّ . نعماك ان تُنضّرَ قلبي بحمياك . فهو صاد محيل
رب . قلبي زينتُهُ لحمّياك فَمُرْ تنسكبْ بقلبي الشمول
هُيئت في سريرتي لك ربي سدرة المنتهى ، وطاب النزول
جوهرُ القلب وهو إبداع كفّيكَ ـ على ما به ـ كريم أصيل
وبقلبي رضوانُ يهفو لمرآك وندّى سريرتي جبريل

اللاذقية | بدوي الجبل

تخلف الشعر

بقلم صدر الدين شرف الدين

يتذاكر الادباء هذه الايام امر الادب ، وتأخذهم به لومة الحياة ، فيديرون حديثه حين يلقي بعضهم بعضاً ، ولا ينسونه حين يفرغون الى اقلامهم يجيلونها فيما يعرض لهم من الافكار ، وفيما يقصدون اليه من الموضوعات ، وفيما يستوحونه لهذا وذاك من الخطوب والاحداث .

وكأن تخلفهم - في اعمق الاسباب - يكمن وراء ما يهمهمون به من امر الادب ، وما يهمون به من تحديد تبعاته وتصوير مسئولياته ، وما يخوضون فيه من شئونه وشجونه ، فهم من كل هذا انما يفتشون في الواقع عن انفسهم الضائعة المضيعة بين غمرات الحياة الزاخرة ، وانما يبحثون عن اماكنهم المتزايلة المزعزعة في ظل السياسة وطغيانها المستفحل .

رجعوا الى الانظمة التي تأخذ المجتمع بتقاليدها ، وتدفعه كارهاً او مختاراً في مسالكها ، فوجدوا هذه الانظمة لا تبرأ من التفكير الوثني ، ان لم تكن من صنعه وعمل يده . ووجدوها تسيء كثيراً او قليلا الى هيئات المعرفة والعمل ، ولكنهم وجدوها من اجحافها الشامل ذاك ، لا تسيء الى احد ما تسيؤه اليهم هم ، ولا تقسو على احد ما تقسوه عليهم بالذات ، فاذا هم - سددت خطواتهم - يهمهمون ويهمون ، ويهيمون ، ويخوضون ، ولا يعلم الا الله ما يفعلون ! ولو كان حديثهم هذا هو الموضوع الذي اتخذته لهذه الكلمة لكان من السهل ان نجدهم يشاركون بتحمل المسئولية عن مصيرهم الضائع المضيع ، وعن مكانهم المتزايل المتزعزع ، ولكني عنيت مما يتذاكرونه الآن بامر واحد : هو تخلف الشعر .

***

هم يتذاكرون الشعر في ديار « العربية » ، ويردون ظاهرة ضموره واضمحلاله الى اسباب بعضها الحق ، وبعضها الباطل ، والى عوامل بعضها الحقيقة ، وبعضها الوهم ، والذي لا اشك فيه من هذا الحديث ، ان الشعر ضمر في ديارنا واضمحل . وآية ذلك انقطاع آخره بوقوفه على ما انتج شيوخه ، واحتضاره في اكثر ما ينتجه شبانه ، ولا يجهل احد ان الكائن المزدهر لا يتحقق ازدهاره ولا يستمر الا اذا استقر وتطور ، واطرد سيره من الاستقرار والتطور ، صاعداً بطاقته من جيل الى جيل بعده ، منتقلا الى وارث من موروث قبله ، وفق سنن البقاء ، وقوانينه الثابتة .

الظاهرة الاجتماعية يحتاج بقاؤها الى ضبط التوازن بين طبيعتي : « الثبات » و « التحول » - كما يقرر اوجست كونت - ضبطاً لا يطغي احدى الطبيعتين على نقيضتها ، ولست ارى هذا التوازن الا مختلا في الشعر من ادبنا الحاضر ، اختلالا اضوى الطبيعتين معاً ، واضعفهما جميعاً ، واخرج لنا من طبيعته هو شعراً غريباً ننكر فيه جمود « الثبات » ولا نعرف به جدة « التحول » وهذا معنى ضمور الشعر واضمحلاله الذي اعني .

ثم انا لا اشك في ان للكوارث التي صبت على العرب ، وللدواهي التي مسخت ايمانهم ، واطفأت جذوة حماستهم . انا لا اشك في ان لهذا يداً في اضعاف الشعر ، واخفات صوته ، كما لا اشك بما للتوجيه السياسي من أثر في ذلك ، وانه لواضح ان التوجيه استغل الواقع العربي ، وما نشأ عنه من حيرة وقلق وفقر ، فاخضع كل ذلك لمصلحته الاستثمارية متخذاً لتحقيق هذا الغرض وسائل شتى منها : افساد مناهج التربية والاعداد الشعبي ، ويجيء في طليعتها اهمال الموهوبين . وقضاء الحرمان عليهم ، يقابل هذا في خطته تشجيع من تستذلهم عبادة المال الى سوق الشراء ، او ترشحهم « ميزة » الصلف الجاهل للتشويش على الحركة الحرة ، والتشنيع على جنودها الشرفاء .

انا لا اشك في هذا ولا بما يمشي على طريقه او ينتهي الى غايته من الاسباب التي تكون آثارها في الشعر اكثر ظهوراً منها في غيره من الفنون والآداب .

ولكن الذي اشك فيه من الاسباب هو ان يكون ضمور الشعر اثراً من آثار الارتقاء العقلي ، او عملا من اعمال الحياة حين تتقدم وتتسع وتتعقد وتعجز الشعر -كما يقال- عن مسايرة اغراضها ، والنهوض باعبائها .

وانتهي من الارتقاء بهذا السبب الى ما سماه الدكتور طه حسين تحولا في الشعر من الضرورة ، قبل الرقي العقلي الى « الترف » بعده ، لأشير - في شيء من التحديد - الى النقطة التي ينطلق منها الوهم الذي نحن بصدد دفعه . الوهم الذي يرى « نفي الضرورة » عن الشعر سبباً لضموره واضمحلاله .

وعلى معنى آخر غير الذي قصد اليه الدكتور طه حسين والذين معه، انا اشك بصدق هذا السبب. مطمئناً الى كفاءة الشعر في ذاته لمسايرة الارتقاء العقلي في حدود طاقته، وممكناته ورسالاته، بل مطمئناً الى ان الشعر «حاجة» لا يبطلها تعقد الحياة، ولا يزيدها اتساع الاغراض وانفساح المذاهب الا رسوخاً، فارتقاء العقل، وتعقد الحياة، واتساع الاغراض، كلها مقتضيات تؤكد الحاجة الى الشعر، ويرتفع تعاونها في العطاء، بادواته ومواهبه فيما يرتفع به من امور العقل، واشياء الادب، وشئون الحياة.

وقد يكون حسناً من الوجهة المنهجية ان نقف الى «الضرورة» هذه فنرى ماذا يراد بها؟ وماذا يعني نفيها عن الشعر حين يرتقي العقل، وتتعقد الحياة؟ اصحيح ان معنى ذلك ان يعود الشعر نافلة لا يدور الا في اطارات المتارف والكماليات، فاذا استبعد او نفي لم ينقص على الحياة امر جوهري، وانه اذا قضي عليه الموت لم تشعر من ذهابه بفراغ، ولم تحس لفراقه بوحشة؟

ام ان معنى نفيها عنه شيء آخر يحفظ عليه البقاء العمدة، ولا يتخلى عن عده من الاركان؟ هل نفي الضرورة عن الشعر ضرب من التعبير المجازي لغرض ايضاحي يقصد به توكيد «ضرورة» اخرى هي اجرى مع الحياة، واطوع لاغراضها؟ هذا ما سنراه.

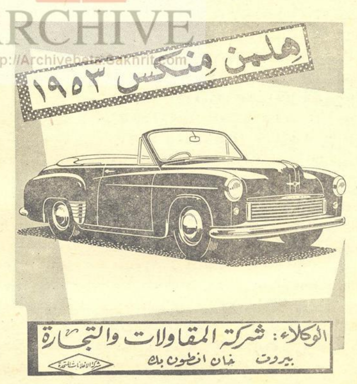
الدكتور طه حسين والذين معه من مؤرخي الادب المعاصرين، نفوا ضرورة الشعر في معرض المقارنة بينه وبين النثر، باعتبارهما حاجتين من حاجات الحياة، ورأوا في سلم التطور ان الشعر يبدأ ضرورياً وينتهي كمالياً، وان النثر على العكس من صاحبه، لا يكون من الحياة العقلية في شيء ابتداء ثم يكون كل شيء انتهاء، ذلك لان الامة في مرحلة، يوم تكون ساذجة بسيطة، يتاح للشعر ان يحيط باغراضها، فينهض بالتعبير عن آمالها والآمها وما تضطرب فيه من الوان العيش والحياة، ويومئذ لا تدعو الحاجة الى غير الشعر، او يكون الشعر هو الركن الاعظم في حياتها العقلية، ومن هنا اعتبروه ضرورة في هذه المرحلة، فاذا تقدمت الحياة شيئاً فشيئاً تقلصت هذه الضرورة بالتدريج، وتنازل فيها الشعر عن مكانه للنثر بالتدريج ايضاً. حتى اذا تم الارتقاء واتسعت الحياة، وتنوعت مذاهب الفكر نهض النثر، واستقرت ضرورته، على انقاض ضرورة الشعر، لعجز هذا عن الشمول، وقدرة ذاك عليه.

هذه خلاصة ما رآه مؤرخو الادب الاعلام.

ولا خلاف فيما رأوه من شمول النثر ورحابته، فالحضارة يوم تلقي ثقلها، وتضع منها كل ذات حمل حملها، لا يستوعب الا النثر اشياءها المفتوقة المنهمرة من افاق الفكر والعلم والفلسفة والتشريع والتنظيم، والادب والفن.

ولكن الخلاف يقف عند الشعر، بل يقف عند مصيره بعد التنوع، والازدهار، وانفجار الينابيع.

واخال ان تناول القوم لمصير الشعر كان اقرب الى التجريد والاطلاق منه الى التحديد والتقييد، فمن الواضح انهم ادارو الضرورة، على شمول «الاداة» وحصروها فيه. الشعر ـ كما رأيت ـ حين كان شاملا كان «ضرورة» فلما زالت عنه صفة الشمول انتقضت فيه طبيعة «الضرورة». والنثر لم يكن شيئاً، ولكنه اكتسب من الحاجة صفة الشمول فكان «ضرورة».



وهكـذا يبدو عنصر « الشمول » في التقرير المدرسي جزءاً مقوماً لطبيعة الضرورة يقاس به حظ الشعر والنثر منها .

ازاء هذا الالتزام لا اعرف انا قاعدة تفرض الشمول على الضرورات ، وقد اعلم ان الضرورة تقدرهـا الحاجة ، ومن الحاجات ما هو عام ومنها ما هو خاص ، دون ان يكون للعموم او الخصوص شأن في اثبات منها او نفي .

وازاء هذه المعرفة البسيطة ارى ان ننتهي من هـذا الوهم الذي جره تسامح القوم في التعبير ، فنقرر : ان الشعر كان اول امره ضرورة شاملة يوم كانت الحياة لا تزيد عليه، ثم ظل ضرورة يوم زادت الحياة عليه مع الاعتراف بانه ظل ضرورة محـدودة تدور في فلك اختصاصه ، وتتحرك في حقول فنونه، وهي من السعة والانفساح حيث يصعب تحديدها ، على ان المساحة ليست صاحبة الشأن فيما نحن فيه ، وانما الشأن للصوق الشعر بالحياة ، ووقوعه منها في حيز اصيل مكين راسخ ، فلو فقدته ، فقدت ـ اذن ـ ركناً يبين نقصه ، ويظهر اثره .

وليس على النثر من بأس في ان يظل الشعر من الضرورات اذا كان التشديد على خطورة الشعر هو الدافع الى هذا التسامح التعبيري ، الباعث على ربط الشعر برصيد الكماليات والمتارف .

يتضح من هذا ان نفي الضرورة عن الشعر انما يعني ارجاعه الى ميدانه من الكيان الفكري ، واحلاله في جناحه من الحياة، فليس هو نافلة الا على معنى المقابلة بينه وبين ما انتهى للنثر من سعة وشمول ومرونة وطواعية وانقياد . ثم هو بعد هذا ثابت في صميم الضرورات التي لا غناء عنها لحياة راقية يقوم رقيها على تعـابير دقيقة حية مصورة محركة منها الشعر ان لم يكن من الطبعها وآصلها .

وزيادة في الايضاح احب ان ارى الى هـذه الضرورة من خلال التصاميم المذهبية ، وعلى ضوء تفاسيرها للادب ، وصلته بالحياة ، واهم ما يحتاج اليه موضوعنا منها مدرستان :

ـ المدرسة الشعبية : وهذه ترى الادب والشعر منه « وسيلة » فهي تكرسه لنفع الصفوف الامامية ، وتنتجه لخيرهم ، وغير ناظرة منه الا الى نقل التجارب للجمهور في سبيل اعداده ، وتنويره .

ـ المدرسة الفنية : وهذه ترى الادب والشعر منه « غايته » فهي تصنع الحياة به نصوصاً ولوحات وقيماً فكرية ولغوية تضعها في ميراث الامة الحضاري ، ثم لا تبالي أمشت على الارض ، ام ظلت تتبختر فوق السحاب .

وليس من قصدي الآن ان اناقش هاتين النزعتين او ارجح احداهما على الاخرى ، فانا منصرف في هذا الموضوع الى تأييد : « ضرورة الشعر » بكلا هاتين النزعتين الغالبتين على ادبنا اليوم ، وكانتا من قبل غالبتين عليه ايضاً .

فعلى صعيد المدرسة الشعبية نرى ان الارتقاء العقلي لا يغير شيئاً من حاجة الجماهير الى الشعر ، وان تكافأت فرص التعليم ، ذلك ان لذوي الاستعداد الفكري نسبة مئوية ما اظنها الا صغيرة مهما سخا التقدير والغرض عليها ، ثم هي موزعة المواهب على مختلف الاختصاصات والميول ، اما السواد الاعظم الذي تتكون منه الامة فيسر للعمل الكريم في شتى الحقول ، يسرته لهـذا الارادة العليا بحكمة لا تعدو التنظيم الذي يمسك على الحيـاة بقاءها واستمرارها ، وفي هذه الحال يظل الشعر ـ كما كان ـ ضرورة لنفع الصفوف الامامية ينفخ بهم الحياة ، ويشد فيهم عزائمها ، ويحبب اليهم فضائلهـا ، ويعكس لهم من جمالاتها واسرارها ما لا يتاح لهم ان يدركوه بانفسهم .

ولا ريب في انـه ـ بنغمه الآسر وتأثيره الساحر ـ اقدر على التوجيه والنفع اكثر من اي تعبير آخر في هذا المضمار .

واذا كان في الخاصة من يقبل منه على اللذة ، فان العامة تقبل منه على الفائدة ، والضرورة انما تقاس بنفع العامة ـ وهم الباقون على مر الاجيال ومختلف المراحل . لا بلذة الخاصة من اصحاب هذا الرأي الخاطىء اولئك الذين زينت لهم « الاريستقراطية » ان يجعلوا من اذواقهم حكماً في هذه الشبهة .

اما على صعيد المدرسة الفنية فالامر أيسر من هذا بكثير ، وجل ما تتصوره على هذا الصعيد من دواعي نفي « الضرورة » عن الشعر اتهامه :

ـ بقصور وسائله الخاضعة للوزن .

ـ وبعجزها المشدودة الى القافية .

ـ وندرة استمداده الموقوف على الهبة .

وبحسبك في الجواب على هذا الاتهام ان ترجع الى العصور الذهبية ، اذ تجد للشعر مذاهب تمـاشي الحياة في كل غرض ، وترافقها في كل مظهر ، وتبلغ في الكشف عنها كل غاية ، وانت لتجد بين هذه المذاهب الرفيعة ما تحدى النثر بمثل « اللزوميات » فاخضع الفلسفة لفنونه اخضاعاً ، وسكب فيها من اكسيره مـا اعداها من ذاته بالندى والسحر والاشراق والعبير .

وقل لي ـ بعد ـ اية فجيعة في العربية اعظم من فجيعتها لو خسرت بشاراً وابا العتاهية وابن الرومي وابا تمام والمتنبي وابا العلاء والعباقرة من انداد هؤلاء الخالدين؟ ثم قل: كيف تكون «الضرورة» اذا لم يكن شعر هؤلاء من الضرورات؟ او كيف تكون الخصومة بين الشعر والارتقاء العقلي على رغم هؤلاء؟

من هنا كنت مطمئناً الى ان الارتقاء العقلي لا يصح سبباً لضمور الشعر اذا يجنده التوجيه السياسي لمحاربة الشعر، وليس من الصعب ان تجد في تاريخ العصور الشوامخ عند الاغريقيين والرومانيين والهنود والفرس والغربيين ما وجدته عند العرب من احتضان الشعر، ومن نهوضه في شتى الاطوار باعباء لو لم ينهض بها لذهبت الحياة وفي ابجديتها نقص، ومضت وفي موسيقاها نشاز.

ذلك يؤكد ان ضمور الشعر ينبع سببه من خطة التوجيه لا من طبيعة الرقي، ويقيني ان الشعر لو عاش في ظل دولة كريمة تملك وضع مناهجها باستقلال لأبلى الشعر ـ اذن ـ احسن البلاء في اعداد رأي عام فاعل، وفي انشاء حياة حرة رفيعة المستوى.

التوجيه السياسي هذا سبب يضاعف تأثيره السبب المتقدم عليه في صدر هذه الكلمة، واعني به الضمور المعنوي الذي مني به العرب في حوادث فلسطين. وما سبقها من كوارث كان من افدحها، او كان افدحها على الاطلاق تقسيم جسمنا العربي فرائس الذئاب، الامر الذي استل الايمان من نفوس العرب، وارسلهم اتباعاً لكل ناعق، يتسللون ذات اليمين وذات الشمال، تحسبهم ايقاظاً وهم رقود.

وكان من الطبيعي لهذه المحن السود ان تسلط الحياة على ديارنا الواناً من الهوان والفقر والتفسخ، ثم كان من الطبيعي ان يهون الادب عامة ويفتقر ويتفسخ باعتباره مرآتها، وان يهون الشعر خاصة ويفتقر ويتفسخ باعتباره صدى حركاتها، واذ كان الشعر في السبب السابق انما يزهو على التشجيع، فانه فقد في هذا السبب داعي القول من الاساس.

وقد عاد مردوداً قول الذاهبين الى ان الادب يجوهره البؤس، ويجلو عبقريته الحرمان، ولا سيما في امة لا تتكافأ فيها فرص التعليم، ولا يجد الفكر من انظمتها ضمانة او حماية. نعم قد تدعو النقمة الى الثورة، وقد يدعو الحرمان الى ارسال صور منه فطرية وقد تبلغ الاجادة بهذا وذاك حد الروعة، ولكن هذا لا ينشيء ادباً محترماً، ولا ينتج شعراً عبقرياً تتفصد قوافيه تنوعاً وجدة وابداعاً، ذلك لان الادب والشعر منه لا يسمو الى اوجه اذا استقلت بصوغه الموهبة المجردة، في غير استناد الى مشاركات ذهنية شاملة، ولا ارتكاز على ثقافة متنوعة يجدها الشعر اعضاء تتحرك بخواطره، وتتنفس بمعانيه، وتوزع من عطاياه. وكيف يتفق هذا لشاعر مطارد يصدر عن النظام التربوي بعقلية تلائم النفسية التي شاءها النظام السياسي، وكلتاهما تشكوان نوعاً من الفقر، ونوعاً من الجوع؟ كيف يتفق هذا لشاعر يحال بينه وبين موارد العلم الصافية، ويحال بينه وبين الحرية والامن، ويحال بينه وبين الغذاء الصحي؟ كيف يتفق هذا لشاعر لا يجد ضمانة فكره، ولا حماية روحه، ولا رعاية جسده؟.

واية قيمة ـ بعد ذلك ـ لشعر الحرمان؟ انه شعر يدور في نطاق ذاته، ويصور دون ريب حياة، ولكنها الحياة الفقيرة وان ابت، المستذلة وان عزت، المستباحة وان تحصنت، وهو شعر في هذا الحال يتلخص بكلمتين اثنتين هما: الرثاء للعدالة، والهجاء للحطام. ولا ابخسهما قيمتهما فهما كلمتان تنفسح ابعادهما لشعر شيق رفيع، ولكنه ليس شعر الامة الذي نريد، وليس الشعر الذي نبحث عن مكانه بين اداب الامم الكبرى، وليس الشعر الذي يتشرق بانوار الحضارة، ويضج بالات المصانع، ويدور مع دولاب العمل، ويتوهج بجمرات الفكر، وينطق عن الروح الانسانية في اتم طماحها، وادق اسرارها، واسمى هياتها، وابهج افراحها.

صدر الدين شرف الدين

مزالق النقد المعاصر

بقلم الآنسة نازك الملائكة

ما زال النقد الادبي* بمعناه الحديث فناً ناشئاً في آدابنا المعاصرة تنقصه الاسس التي يرتكز اليها في احكامه ويعوزه التركز والرصانة. فنحن ما زلنا نعبر من حياتنا تلك الفترة التي تتصف بالعفوية والاستغراق، وهي فترة تمر بها الآداب في اوائل يقظتها حين يكون انتاجها غير شاعر بذاته، فيتفجر على صورة ادب يعالج الانطباعات النفسية والذهنية والاجتماعية معالجة تلقائية دون ان يقف ليراجع هذا الانتاج ويحكم عليه.

والنقد الادبي مرحلة يبدأ فيها الادب العفوي احساسه بذاته على اثر نضجه واكتمال نموه وشعوره بفيض من الحيوية الناقدة التي لا بد لها ان تنطلق. وهو في حياة اية جماعة يمثل مرحلة اكتمال ثقافي يمكن ان نسميه وعياً للذات ولهذا نجد المألوف في آداب الامم ان يوجد الفنانون اولا ثم النقاد.

وما دامت الحاجة الى النقد الادبي بدأت تبرز وتتضخم في آدابنا فليس من شك في انه على وشك نمو سريع، فمتى اقتضت الظروف ان يوجد لون معين من الادب كان لا بد له ان يوجد وامامنا شواهد تاريخية كثيرة على هذا القانون. على ان هذا الفرع من فروع التأليف وهو يسير على غير هدى سيضيع جهوداً كثيرة حتى يهتدي الى الاسس التي ستوجهه وتحكمه، وحتى تنشأ فيه النظريات والمذاهب والمدارس التي تستند الى ادبنا المحلي دون ارتكاز الى نظريات النقد الاوربية.

والمزالق التي يجابهها النقد العربي اليوم اكثر مما يمكن معه الاطمئنان، فالناقد يدخل هذا الميدان المضل دون نظريات تقوده ولا مذاهب توجهه ولا اسس يعتمد عليها في احكامه وانما يجد مكان هذا احساساً داخلياً مبهماً يهتف به انه وهو يسلك مسلك الناقد انما يضع بنفسه خططاً وقوانين واسساً، وذلك لانه لا يملك حتى نماذج رديئة يقيس عليها. ومن هنا ينشأ في نفسه التهيب ويحس بضرورة الحذر الشديد والاقتصاد في الاحكام والا جرفه تيار الابتذال. وهذا فيما نظن موقف كل ناقد مثقف يعرف هدفه معرفة جيدة، ويهمه الا يضل الطريق. فالنقد في هذه المرحلة من مراحل نموها الثقافي موضوع دقيق خطر، وسيكشف المستقبل القريب الغطاء عن كثير مما يمر بنا اليوم باسم النقد، فيلوح لنا اذ ذاك مظهراً من مظاهر صبانا الثقافي لا اكثر.

واحد المزالق الشائعة التي يكثر سقوط الناقد العربي المعاصر فيها، مزلق يغلب على ظننا انه صدى للابحاث السايكولوجية الحديثة التي تصب اهتماماً ضخماً على الفنان نفسه حين تحاول تقديم انتاجه الفني. وقد بات شائعاً ان يكتب الكاتب مقالا في نقد قصيدة او ديوان شعر فينتقل دون وعي الى الحديث عن حياة الشاعر وظروفه الاجتماعية والبيتية. وليس من الضروري لكي يتم السقوط في هذا المزلق ان يتحدث الناقد عن مولد الشاعر وطفولته، وانما يكفي ان يقول ان هذه القصيدة تدل على ان الشاعر جبلي مثلا، وانه يعيش حياة هادئة ونحو هذا لكي يخرج كلياً عن حدود مملكة النقد الادبي ويدخل في نطاق سيرة الحياة.

ذلك ان المهمة الادبية للناقد تبقى مقيدة بالقصيدة من وجهتها الجمالية والتعبيرية، في دراسة موضوعية خالصة، يلاحظ خلالها هيكل القصيدة العام، ويقف عند أداة التعبير فيدرس مدى اتساقها مع جو القصيدة والعاطفة التي تسيطر عليها، ويدرس الوزن واللمسات الموسيقية واثر القافية، ويتحدث عن الموضوع واسلوب الشاعر في تناوله، ويعين الاساس الذي ترتكز اليه الفكرة العامة، وقد يخرج الى المقارنة بين قصيدة وقصيدة وشاعر وشاعر، ولا بأس في اية اتجاهات اخرى لا تخرج عن هذه الحدود ولا تدخل في نطاق حياة الشاعر وآرائه الاجتماعية، فهذا يدخل في باب السيرة وهي دائرة منفصلة عن دائرة النقد الادبي.

* هذا المقال خاص بنقد الشعر.

واقرب المزالق الى منزلق السيرة هذا، اتجاه الناقد الى العناية بما في القصيدة من عواطف وافكار وجعلها الاساس في نقده. وهذا خطأ شائع يسهل الوقوع فيه خاصة في هذا القرن الذي تشعبت فيه الآراء وزادت سطوتها في الاذهان فبات لكل منا معتقده الذي يؤمن به ايماناً عميقاً ويتحمس له. ومهمة الناقد الادبي شاقة لان عليه ان يتجرد من طغيان آرائه وهو يتناول القصيدة التي يدرسها، فالمهم بالنسبة اليه هو القصيدة لا نوعية الآراء التي تحملها. والحقيقة ان استهواء الافكار والآراء استهواء خطر لا سبيل الى الاستهانة به خاصة حين تكون هذه الآراء مما يمس القضايا الحساسة في انفسنا إنسانية كانت او وطنية او فردية. وكثير من الناس يجنحون دون وعي الى الاعجاب بكل قصيدة تعبر عن آرائهم متغافلين عن ضعف القوى الشعرية فيها تغافلا تاماً. وتلك حالة تشفع فيها للقصيدة عوامل لا علاقة لها بالشعر، وهي حالة يقع فيها كثير ممن يكتبون في النقد، فالقصيدة عندهم رديئة لانها تحتوي على رأي في الحياة يخالف رأيهم وكأن لآراء الشاعر الخاصة قيمة فنية تؤثر في حكمنا على شعره.

والمشكلة الاساسية في هذا المزلق، ان الكاتب يخلط بين القصيدة وموضوعها وهما شيئان منفصلان. ويمكن ان نقول إجمالا ان الموضوع ينبغي ان يؤثر في القصيدة لا في الناقد، فكل ما يهم الناقد ان يلاحظ كفاءة القصيدة للتعبير عن الموضوع دون أن يناقش صلاحية الموضوع من الوجهة الاجتماعية والتاريخية، فهذه تدخل في حدود مهمة الذين يدرسون تاريخ الحركات الوطنية والادبية، وهي ان استأهلت من الناقد التفاتاً فهو التفات الاشارة، الذي لا يعفيه من نقد القصيدة نقداً موضوعياً. والسقوط في هذا المزلق يستطيع ان يتم كما تم سابقه دون تطرف كبير، فيكفي ان يهتم الكاتب بالاشارة الى آراء الشاعر حتى دون ان يناقشها لكي يخرج عن حدود مهمته. ومن نماذج هذا الخروج ان يقول الناقد للقارىء ان الشاعر يحب الطبيعة او انه شديد الحساسية بدليل قوله ... وانه يدعو الى الانطلاق بدليل قوله ... ونحو هذا. فهذا كله لون من الدراسة الاجتماعية والنفسية ولا علاقة له بالنقد.

ومن ابرز المزالق التي يحذرها الناقد المثقف ما يمكن ان نسميه بالنقد التجزيئي، وهو ذلك النقد الذي يتناول القصيدة تناولا تفصيلياً يقف عند المظاهر الخارجية، ويعفي نفسه من معالجة القصيدة باعتبارها هيكلا فنياً مكتملا. واظهر اعراض هذا النقد اعتبار القصيدة مجموعة من المعاني وحدتها البيت على الاسلوب القديم. وفي هذه الحالة يقف الناقد عند البيت الواحد مناقشاً في اسلوب كلامي ويتناول التعابير مفصولة عن السياق فيحكم عليها بالجمال او القبح. ويصبح ناقد هذا النوع خطراً حين يكون ذكياً بارع الاسلوب، فهو اذ ذاك يفلح في تضليل طالب الادب الناشىء وتوجيهه وجهة مغلوطة في التذوق والحكم، فبدلا من ان يقدم له اسلوباً منهجياً في تقييم القصيدة يشغله بملاحظات ذكية لاذعة هنا وهناك. مثل هذا الناقد ينسى ان النقد الحقيقي يبدأ بعد هذه المرحلة التي تقف عند الثوب الخارجي وتترك جوهر القصيدة مطموراً بعيداً عن تذوق القراء.

واحد المزالق ان يعتاد الناقد ان يكون سلبياً في احكامه فبدلا من ان يدل على مواطن الجمال في الشعر المنقود، يكتفي بتبرئته من المعايب الشائعة. ونموذج هذا تلك العبارة التي يكررها الكتاب حين يحاولون الحكم على شاعر مقبول، وهي قولهم «انه شاعر حقيقي يشعر ولا ينظم...» افلا تتضمن كلمة «شاعر» معنى الحقيقي الذي يشعر؟ ومتى كان الشاعر يمتدح بانه ليس «نظاماً»؟ ومن امثلة هذه الاحكام السلبية ما قرأناه لاديب كبير في نقد ديوان لشاعر معروف. قال: «لا تكلف ولا تبذل ولا لف ولا دوران ولا بهرجة بيانية وعروضية ولا تفتيش مضن عن اوابد الكلم والمعاني.» ولسنا نفهم كيف يكون هذا مديحاً الا اذا اصبح مجرد خلو الشعر من بعض العيوب الفادحة يمكن أن يعد فضيلة تمتدح، والا اذا كان المعنى ان شعرنا اليوم يقوم على اللف والدوران والبهرجة والتفتيش المضني عن الالفاظ.

وأحد المزالق الخطرة يكمن وراء استهواء الافكار والسكر بالنظريات، وهو منزلق يتردى فيه اولئك الموهوبون الذين قال عنهم ت.س. اليوت في بعض مقالاته انهم يملكون عبقريات خلاقة، الا انهم لتعطل في قواهم المنتجة راحوا يتسلون بالنقد الادبي. مثل هؤلاء عادة يحوكون حول القصائد نظريات متحمسة او تفسيرات من لون بعيد عن الاصل بعداً كبيراً قلما يلاحظونه، فهم منتشون ببريق الفكرة التي ابتدعوها وليس على القصيدة الا ان تنضغط وفق القالب الذي يريدونه.

وقريب من هؤلاء اولئك الذين يحملون عن القصائد آراء سابقة قبل ان يقرأوها فليس اخطر من هذا الاستعداد العاطفي، لانه احياناً ينوم حاسة التذوق ويعطل قابلية الحكم ليفرض رأياً غير مقبول.

الجرح المرائي

الى اخي ع . الركابي

اني ما زلت حيا ... [جاليجولا Galigula]

لا تمسّي كبريائي
لا تمسّي ذلك الجرح المرائي
انا ادرى اين من نفسي دائي
انا ادرى
فاتركينا
لا تقولي لِمَ لم تأتِ الينا ... !
لا تقولي قد تكبّرتَ علينا ... !
انت تدرين وادري.. هكذا نحن انتهينا بأباءِ
فاتركينا
انا لا املك الا كبريائي
ذلك الجرح المرائي
ذلك الموت الذي يهزأ حتى بانتهائي
فاتركينا
لا تقولي قد تكبّرتَ علينا ... !
انت تدرين وادري .. هكذا نحن انتهينا بأباء
وغداً القاكِ في دربي كأنا ما التقينا
هكذا نحن انتهينا بأباء
فاتركينا

بغداد — بلند الحيدري

اما اغراء الاسلوب والانشاء بالالفاظ والتعابير فهو مصيدة للناشئين من النقاد الذين يسكرهم احساسهم بالقدرة على التعبير فينشئون مقالا منمقاً عالي الاسلوب مكتمل الانشاء ، الا انه لا يمس القصيدة التي يتناولها الا مساً خفيفاً ، ومن هؤلاء فئة تغرم بكتابة المقدمات التاريخية المتعلقة بموضوع الشعر ، واعرف اديباً يكتب في نقد قصيدة تصف سنابل القمح في حقل فيبدأ من تاريخ صنع اول طاحونة هوائية .

هذه المزالق كلها قائمة امام الناقد العربي المعاصر تفرضها عليه الظروف التاريخية التي واكبت نهضتنا الحديثة وهي بما فيها من استهواء توشك ان تلقف كثرة بارزة من كتّاب النقد المعاصرين بحيث بات المجال دقيقاً محفوفاً بالخطر . وما لم يتسلح الناقد المعاصر بثقافة متغلغلة نفاذة اصبح لا بد له ان يذهب في الضحايا ويساعد في اسلام ادبنا المعاصر الى الفوضى والاضطراب .

بغداد — نازك الملائكة

في الشمس

بقلم الآنسة ثريا ملحس



قلب كبير وحيد.. قلب ينبض بين جدران سجون قاتمة، يتمرغ في طوايا نفس صادية ، لا يعرف ما يريد، بل يبحث بألم وألم ، وحباب الالم من اغوار أعماقه الهامسة .. وعلى أهدابه المرتعشة ألف سؤال وسؤال، وبين شفتيه القلقتين ألف صرخة وصرخة : « من انا ؟ من اكون ؟ لمَ خلقت ؟ لمَ ؟ لمَ لا اعرف؟ لمَ لا اعانق الحقيقة الكبرى، وأضعها في قبضة يدي ؟ أحس دبيباً في عروقي ، والتواء في عظامي ، وغصة في نحري .. لله ، لله ما هذا ؟ ما هذا ؟ »

***

ذاك..ذاك الداء الدفين الذي يرقد مستأنساً بالنفوس الحساسة الرقيقة ، والارواح الخلاقة المبدعة.. ذاك .. ذاك الداء المسعد الذي يبشر بالخير الطافح، والخلود الازلي، يشيع المحبة في الاجواء الشقية .. لكن ، ما هذا ؟ ما ندعوه ؟ لمَ تكون المحبة ؟ عن الايمان ؟ ومن ذياك اللامنظور الذي يندفع اليه الفنان مسحوراً ذاهلا ؟ وترن في اذنيه كلمات « سبنوزا » : .. وأما الحقيقة الكبرى فهي محبة الله .. لا ترتقب الله ان يبادلك محبة بمحبة »

***

محبة الله هي الحقيقة الكبرى ، هي التي باتت في شغاف قلبه وألهبت اوتار عقله . فعزفت تنشد المحبة في كل كائن .. أما ذلك الحب الجارف فهو الذي كبله ، ونحاه عن الناس ، وابعده عن ضوضائهم الملهي ، وصخبهم المضني ، معتصماً بوحدته الحبيبة الى قلبه..لكن ، هل الحياة سهلة؟ ما اربنا في هذا الصراع الدائب؟ ما هو المصير ؟ ولمعت عيناه بدمعتين ، صحا وهو يحدق في الموت الذي يجرجر يبطء روح ابيه ، وهبَّ كالامواج عاصفاً جزرها ومدها .. ونفر العرق من جبينه المشرق ، عرق الجهاد، عرق المعرفة ، عرق الفشل في الحياة : «الموت، الموت، آه ما أصعبه! ما اقساه ؟ والحياة ، هذه التي يسمونها حياة، إنها اصعب واقسى من الموت».واندفع ينازل الحياة ، يصارعها، يبحث عما يطمئن نفسه القلقة .. يبحث عما يحسه في ذاته .. سعي الى البؤساء والفقراء..سعى يؤاسيهم ، يخفف عنهم الشقاء ، عاش بينهم مجيباً صدى نفسه الملحاح : «وهل المسيح الا أعظم فنان ؟» ..وقف حزيناً تهزه الرحمة ، وهل يحيا الحب العميق بلا حزن؟ وسرى في عروقه الحزن كما سرى الحب، واصبحا معاً رفيقين لا ينفصلان.

***

لم تهدأ نفسه القلقة .. لم تقنع روحه الباحثة ، تعب ، تعب.. فصرخ بأعلى صوته : « انا فاشل ، فاشل ، انا فاشل ، أحس ولا ادري ما أحس..إذن لم جئت الى هذا الكون الرهيب،الرهيب؟ ما هدفي ؟ ما غايتي ؟ » واكب على الكتب يقرأ ويقرأ ، باحثاً عن حقيقة نفسه، عن شيء تاه في افواقه ، حتى شعر بقبس يدنو مع بعده .. ونداء يصرخ مع خفوته .. نفض عنه غبار الزمان ، ووقف صامداً ، هاتفاً ، إنه سيساهم في تراث الانسانية .. سيجمل من لوحاته عالماً جديداً .. جديداً .

تحركت انامله برغبة ملحة ، تحمل الريشة .. اما ريشته الخشنة ، اليابسة فلم تتحرك ، ولم تترك وراءها خطاً واحداً.. وقف حزيناً ، ثائراً ، غاضباً .. ضرب بكفه الريشة ، وسحقها تحت قدميه ، وراح الى قلمه ، يكتب الى أخيه « ثيو » : حبيبي « ثيو»..لا تفكر بي كما يفكر بي الناس، اني لا انكر الوجود ولا اكفر به، بل اعتبر نفسي مؤمناً ، مؤمناً..انا مؤمن يا« ثيو» حتى في كفري ، وشوقي الوحيد ان اكون نافعاً ، صالحاً ، مساهماً في حل طلاسم الحياة »..

***

ما احوجه الى اخيه « ثيو » ! ، وما احوج نفسه الفياضة الى دلو حنون يلقف ما يطفو ! كانت رسائله الى اخيه ملأى بالعاطفة ، زاخرة بكل ما شاهد وما رأى ..

ظلت انامله عطشى تتمطى حتى جذبته جذباً قوياً ، فلبى النداء ، وسقاها من الوان الزهور رحيقاً حتى ثملت ، ودارت ترسم وترسم .. وبعد فشل ، ضرب ريشته بقوة روحه ، ومزجها بالوان دكناء ، ثابتة،وصوَّر مع الآفاق والسماء والسهول، والغابات، لكن نهمه لم يرو، ونفسه القلقة لم تطمئن..ظل معذباً، يبحث في الارض وفي السماء ، يبحث عما يحس في ذاته ..

بحث في حفنه رمل ، ورشة ماء ، وكومة غيم..هذه كائنات كلها كائنات ، تستحق ان يتصوف في سبيلها الانسان ، لينقل الشعر الملتوي في زواياها..

ومشى .. مشى في الطبيعة حاملا لوحته وريشته ، ليصيد ذروات الطبيعة ، مرة في هدوئها ، ومرة اخرى في ثورتها .. حيناً في صيفها ، وحيناً آخر في شتائها .. كان يسير في الهواء

الطليق مع الضباب القلق، مع العاصفة الزؤور.. اما رفاقه الفنانون، فكانوا يلتجئون الى دورهم خوفاً من العاصفة، اما هو، فكانت المياه المالحة تلفه، والرمال المجنحة تغمره، والمطر الهاطل يبلله اما الصقيع فكان ينخر في عظامه نخراً، وتمتلىء عيناه واذناه بذّرات الرمال الهائجة .. أحب في العاصفة كل شيء، لن يزعزعه احد، ولن يمنعه الموت ..

صارع نفسه، وفشل .. صارع الطبيعة، وفشل ..

ثم عثر وكبا .. وبعد ان اضنـاه السفر، أوى الى غرفته رائحاً جائياً، والقلق يلفه لفاً .. وسقط على الارض منهـوك القوى، يفكر على هينته، حتى رأى شيئاً، رأى ذروة فنه ..

شعاعة غريبة سعت من نافذته، ودخلت في قلبه، فاعترته هزة عنيفة، لم يحسها من قبل، وتلاها اطمئنان ثم هدوء .. وجد نفسه .. وجد نفسه .. ولادة جديدة، رأى فيها ما يريد..

ها هي .. ها هي الشمس التي كمنت في نفسه .. هـا قلبه يطير اليها، الى الشمس..أحس شيئاً في جوهر شيء..وجد الشمس، حبيبته الخالدة .. حدق ثم حدق في اعماقها ليرى، ليفهم، ليرسم.

رسم كل النهار، صارع كل الليل ينتظر طلوع الشمس، وتفيق الشمس بعد ليل طويل، ويهب الفنان ليستمد من لونها عبقرية وخلوداً: ما اجمل اليوم الاصفر ! ما اجمل اللون الاصفر! ما اروعه ! هو السر الذي يفسر السر.. هو رمز الحرارة والنور .. رمز المعرفة .. لون الغبطة والعبقرية .. لون الفنان الاصيل .. لوني انا !

***

اهتزت ريشته بكبر، تنفض عنها ما يجول في خواطر أنامله الحساسة من اختبارات انسانية، حية، معبرة باللون الشمسي عن السلام والحقيقة والوحدة والالم ..

اما شعوره الديني فيظهر جلياً في زهوره الهادئة، المؤمنة، وفي الوانه الصفراء الخاشعة .. وفي قلبه المطمئن بعد صراع، وفي نفسه الحالمة بعد هياج ..

مشى الفنان باتئاد، تغمره الشمس .. اما عيناه الحمراوان تحدقان ابـداً في سواد الشمس: «آه .. ما اجمل الشمس يا «ثيو» ! ما اجملها ! تقرع الرؤوس، تذيب العظام، تترك الانسان في نشوة مدهشة »..

وراح يبحث عن الشمسّ والوانها، يقتنص جمالاتها في جميع حالاتها، في ربيعها وخريفها . في شتائها وصيفها.. لن يقف في دربه اقوى القوى، يصمد امام العاصفة في اوج دورانها، حيث تقلع الحجارة والصخور . تقهقه في وجهه، وتسخر من قلبه، لانها لم تدر ان العاصفة التي في قلبه اشد واقوى من عاصفة الفصول .. هي عاصفة الحب للشمس، وعاصفـة الحب تفوق عواصف الاكوان جمعاء ..

امتلأ قلبه الكبير بالفرح والحزن،

امتلأ قلبه بالحب الذي لا يعرف شكلا ولا حداً، الحب في اعمق معانيه، واروع مظـاهره .. هو الحب المقدس بين الانسان والطبيعة ..

***

ظلت ريشته تغمر من ذياك الفيض الالهي، من الشمس والوانها. وظلت الشمس تشده الى صدرها شداً، فيرنو اليها بحب عميق. هكذا كانت العاصفة تدور في نفسه وفي انامله . ويدور معها الفنان حتى يغمى عليه ..

مجّد الفنان الشمس وخلدها ..

ما ارهب بني آدم ! لقد سخر الناس بلوحاته، بعاصفته، بشمسه، فهام على وجهه هرباً من الناس، يقصد محجته..وقف امام الشمس محدقاً ..

سمع من اعماقها نداء حلواً، فلبى النداء .. تقلصت انامله، واطلقت على رأسه رصاصة الانتصار، فانحنى ميتاً .. ميتاً ..

تصاعد من جسده لهيب، ضاع في الفضاء الرحراح، وذاب في شعاع النهار .. هكذا قضى « فان كوخ ».. هكذا قضى الفنان بعد جهاد وعذاب، بعد معرفة ..عرف نفسه، ووجد ما يريد..

ما ارهب الشمس !

انها اعطته الحياة .. وهي .. هي التي سلبته الحيـاة .. ان يموت من احب حباً عبقرياً ..

لن يموت من خلد الجمال المطلق ..

لن يموت من غمس قلبه في شعاعات الشمس الطاهرة، ومن استطاع ان يقف الدهور محدقاً في عينها ..

لن يموت من اعطى الحياة ايماناً جديداً، ومعنى جديداً ..

قضى « فان كوخ » شهيداً في سبيل الفن، في سبيل الخلق والابداع، في سبيل المعرفة القصوى، لا بل في سبيل الجمـال المطلق، والحقيقة الكبرى اللذين هما الله ..

سقط شهيداً خالداً، مضرجاً بدمائه امام حبه العبقري ..

ما ارهب الشمس !

إنها اعطته الحياة، وهي .. هي التي سلبته الحياة ..

ثريا ملحس

بقلم : كورت بروفر

الدرامة العربية

ترجمة ابراهيم شكرالله

المسرحية الحديثة



الفن الدرامي * بالمعنى الاوربي للكلمة ، كما سبق ان ذكرنا هو ظاهرة جديدة ومتأخرة نسبياً في الادب العربي ، والمهزلة Farce التي شاهدها « كارستني نيبر » في منزل ايطالي بالقاهرة ، والتي اوقفت قبل نهايتها للغتها الداعرة ، يبدو انها لا تزيد عن سلسلة من المشاهد المضحكة الفاجرة لا تربط بينها وحدة في القصة او الكارثة . وهي تشبه مسرحيات ابن راية . التي لا تزيد عن كونها اراجوز استبدلت فيه الدمى بالاحياء ١) والقطعة التي يصفها لين ٢) والتي تعطي صورة حية لنساء موظفي الدولة في عهد محمد علي ، هي في مرتبة اعلى . وهي اشبه بالملهاة العربية الحديثة التي يطلق عليها اسم « فصل مضحك » والتي تمثل في القاهرة اليوم . وكل ما قاله لين – وهو الذي عني بملاحظة الحياة الشعبية في مصر ، عناية فائقة ، عن « المحبظين » وهم الذين يقومون بتمثيل مثل هذه الفصول الدرامية ، يصدق اليوم على ممثلي الفصل المضحك ، وليست تمثيلاتهم مما يستحق الوصف ، فهي تستجدي الاعجاب والتصفيق بالنكات الشعبية الفجة ، والحركات الداعرة . ويتألف الممثلون من الرجال والصبيان فقط ، وهؤلاء يقومون بادوار النساء ٣)

ويحوي الفصل المضحك ، ما تحويه المسرحية التي وصفها لين ، من عناصر تعليمية وعظية ، حتى لو اقتصر هذا العنصر الوعظي على تعليمهم كيف يستطيعون الحصول على خير ما يطلبون من الاوربي اذا عالجوه بالضرب والخداع

وافضل من هذا بقليل الفصل المضحك السوري في بيروت او دمشق ٤) وقد ظلت فرقة سورية تقوم فيها نساء بالادوار النسائية ، تمثل حتى عهد قريب في قهوة « كامل » السورية بالقاهرة ولكن الفرق طفيف بين ما كانت تعرضه هذه الفرقة وما كان يشاهده المرء ، حتى وقت قريب ، في المسرحين الصغيرين اللذين كانا سابقاً في سوق السمك . وانتقلا في هذه الايام الى شارع وجه البركة . وكان آخر ما شاهده كاتب هذا المقال من هذه الفصول المضحكة في احدى هذه المقاهي ، مسرحية تتألف من عدة مشاهد تهريجية تنتهي دائماً بضرب احد الممثلين . والشخصية الرئيسية لهذه القصة السخيفة هو الخادم حسين الذي يظهر في ملابس شخصية احد ابطال المسرح التهريجي الفرنسي Pierrot Costume ٥) وهو يخدع سيده الضابط وينشيء علاقات غرامية مع زوجته ويلاحظ الزوج المخدوع من آن لآخر الغرام الذي يجري من خلف ظهره . وينتج عن هذا سلسلة من الاخطاء والمفارقات المضحكة . فيعانق الخادم مثلا سيده الذي يجلس في مقعد الزوجة دون ان يلاحظ ذلك ، ويكون نصيبه نتيجة لهذا لكمة على اذنه . ومن شخصيات الرواية اوروبي ابله كثير المباهاة ، وهو يوناني عامي ، يلبس قبعة طويلة محطمة وملابس عسكرية انكليزية فاقعة الحمرة ، وتتناوله

---

* انظر العددين السابقين. ننشر هذا البحث مترجما كما نشر في الموسوعة دون حذف او تحوير او تصحيح وسيتولى الاستاذ محمد يوسف نجم التعليق عليه وانتقاده وتصحيح اخطائه [الأديب]

١) يوجد نفس الوصف في كتاب Description de l'Egypte - الجزء الثاني ص ١٧٢

٢) انظر « لين » في المرجع السابق الذكر « هامش ٧ »

٣) انظر « كيرن » في المرجع السابق الذكر « هامش ٢٢ »

٤) Kern; Neuere Agypt. Humoristen und Satiriker. (M. S. O. S.) IX Berlin 1906

وهنالك فصل سوري مضحك وهو رواية « الجهلاء المدعين بالعلم » بقلم ابراهيم بك الطبيب ، بيروت

٥) ان الملابس الاوربية التي يرتديها حسين تشير الى الأصل الافرنجي للفصل المضحك كما نجد في الأراجوز الذي ينتسب بلا شك الى مسرح البوليشينل – الذي اقتبسه الشرق الاراجوز التركي – ان بعض الشخصيات واحدة في جميع المسرحيات. ومن هذه النماذج يتعرف المرء على المصدر الايطالي للفصل المضحك فان ارليكانو في « الكوميديا دل آرته » الايطالية هو الخادم البليد الجريء الذي يتصف بالمكر ، كما ان شخصية اليوناني الجبان المدعي تقابلها شخصية سكاراموش ، وكذلك المرأة المدللة المحببة الصغيرة التي لا ترعى في دقة وفاءها لزوجها ، هي كولومبين .
ولعل الفكاهة القائمة على الهجة هي نتيجة لآثار مسرحية « خيال الظل »

شخصيات الرواية بالنكات والضرب طوال المسرحية . والشخصيات الاخرى هي متسولة سليطة وطاهي وثلاثة لصوص « حرامية » وهؤلاء يقومون بتجريد الضابط من ملابسه وهو يغط في النوم

والحوار ـ كما هو دائماً في الفصل المضحك ـ نثري وباللغة العامية التي تستخدمها الطبقة العامة ، وهو مليء بالسباب والالفاظ البذيئة . واحياناً يسبق الفصل المضحك عرض لرقصة البطن الشهيرة او فصل من خيال الظل

وقد نشرت بعض هذه المهازل في القاهرة أخيراً١) ولكنها قليلا ما تمثل ، لانها لا تحوى البذاءات التي تجعلها تنال قبول الجمهور . ومن احسن هذه الروايات رواية « هات لي من ده » لاحمد حمدي الرشيدي ، وهي مقتبسة من احدى الحكايات الخرافية القديمة ، وتتضح فيها خصائص الفصل المضحك ، وخلاصتها . « ان نديم افندي استأجر امين السوري كخادم ورقيب لابنته فريدة ، فيتصرف امين تصرفاً غبياً بالنسبة لسيده اذ يقع في حب الفتاة . ويحضر اصدقاء نديم الثلاثة وهم « سي جارة » و« سي فـون » و« سي فنجة » يخطبون فريدة لابنائهم عزيز وفريد وجميل فيعد نديم ان يزوجها للذي يستطيع ان يقدم احسن هدية زواج .

وتكون اسماء الضيوف الغريبة ـ سيجارة ، وسيفون ، وسفنجة ـ موضع تندر وقح من الخادم امين العبوء . وفي الفصل الثاني يلتقي الخطاب الثلاثة ، مصادفة ، في فندق في مالطة ، ويعرض كل منهم هدية زواجه التي يريد تقديمها ، فجميل معه مرآة يستطيع الناظر فيها ان يرى الاشياء من مسافة بعيدة ، وفريد معه نوع من الليمون يحيي الموتى ، أما عزيز فمعه بساط الريح . ولاختبار هذه الهدايا ، ينظرون في المرآة فيرون فريدة على فراش الموت ، فيسارعون بالسفر على بساط الريح الى القاهرة حيث يعيدون اليها الحياة باستعمال ليمون فريد . ثم

---

١) رواية «هات لي من دى» لأحمد حمدي الرشيدي «القاهرة١٩٠٧ ومن هذا القبيل رواية « بعجر » لمحمد افندي حسني «القاهرة» ورواية «الزواج بالنبوت والبخيل المكروت» «القاهرة» ، وهي تحريف لرواية «البخيل» لموليير ، وهو الذي يقلع عن بخله بعد ان يمنى بخسارة مادية فادحة . وقد عالج محمد افندي شفيق نفس الموضوع في فصل « البخيل »

وهناك رواية اخرى هي « صدر البغاشة » لأمين سيد أحمد عبد الواحد الزيات « القاهرة » . وهناك ايضا رواية وعظية كالتي اشار اليها «لبن» وهي رواية «المخدمين» لمحمد بك عثمان جلال . وقد طبعت بعد موت المؤلف وهي تكشف عن خداع وحيل المخدمين .

نراهم جميعاً في الفصل الثالث وقد احتكموا الى القاضي بعد ان اختلفوا على أحقية كل منهم في الزواج من فريدة ، وتصدر ابنة القاضي واسمه سي بوبة ان فريدة من حق فريد ، وتقدم العزاء باسلوب شرقي الى الخاطبين الآخرين وتنصح لهما ببيع هديتيهما . ونرى ان الخادم ايضاً ـ هو الذي كان يقوم بدور المهرج في الرواية ـ قد رافقهم الى القاضي ولكنه لم يوفق هو الآخر بالزواج من الفتاة . »

والى جانب هذه الآثار العربية الاصيلة ـ على نحو يكثر او يقل ـ توجد اليوم درامة اوربية غرست في الشرق على نحو صناعي ، وقد بدأت هذه الحركة في سوريا وكان مارون بن الياس بن مخائيل نقاش « المولود سنة ١٨١٧ في صيدا ـ لبنان » اول من عالج هذا التجديد ، وقد سجل اخوه وتلميذه نقولا٢) تاريخ حياته وآثاره تسجيلا رائعاً ، نعلم منه ان اسرة مارون انتقلت وهو لا يزال طفلا الى بيروت التي كانت اذ ذاك ـ ولا تزال الى اليوم ـ قلب سوريا الثقافي ، ونشأ فيها وفقاً للافكار العربية القديمة ، فافسد ذوقه السليم بدراسة المتون والقواعد والعروض ، وما شابه ذلك من الثقافة المدرسية scholastic فلما بلغ الثامنة عشرة ، شرع ينشد الشعر ، ولكن هذا لم يصرفه عن تعلم مسك الدفاتر والقانون التجاري الافرنجي ، واللغات التركية والفرنسية والايطالية . فلما بلغ الثلاثين سافر الى ايطاليا حيث شاهد لاول مرة في حياته المسرح الاوربي ، وقد ترك التمثيل في نفسه اثراً بالغاً ، حتى انه لم يكد يعود الى بيروت في سنة ١٨٤٨ حتى انكب على كتابة درامة باسلوب أوربي اطلق عليها اسم « البخيل »٣) ، ثم لم يلبث ان اخرجها في بيته امام جمهور قام بدعوته ، وكان منه القناصل الاجانب ووالي لبنان ، وكان الممثلون من اصدقائه الشبان ، وقد اعقبت هذه المحاولة محاولة اخرى في سنة ١٨٥٠ ، فاخرج رواية ابو الحسن المغفل ، وهي تصوير درامي لقصة هارون الرشيد وابو الحسن الشهيرة والواردة في كتاب « الف ليلة وليلة » وقد شجعه نجاح هذه

---

٢) نشر نقولا النقاش بعد وفاة أخيه ثلاثا من مسرحياته بعنوان «أرزة لبنان » « بيروت ١٨٦٩ » وفي الكتاب ترجمة لحياة مارون النقاش .

ويخطىء هيوارت في كتابه « تاريخ الأدب العربي » Huart, Histoire de la Litt - Arabe اذ يسمى مارون باسم اخيه « نقولا النقاش الذي ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ومات في طرطوس سنة ١٨٥٥ وألف رواية اسمها أرزة لبنان » ٣) انظر في «أرزة لبنان» ص٤ عبارة « رواية البخيل التي هي أول رواية تقدمت بلساننا العربي »

المسرحية – التي لا تزال تمثل حتى اليوم – على القيام بتشييد مسرح دائم في بيروت – بعد حصوله على موافقة السلطان – وفيه اخرج رواية « الحسود » ، وقد ظهرت على هذا المسرح مسرحيتان لاخيه نقولا وهما « الشيخ الجاهل – كتبت في سنة ١٨٤٠ » و« ربيعة بن زيد المقدم ، كتبت في سنة ١٨٥٢ »وقد مثلتا لاول مرة .

عاجل الموت مارون ، وهو في رحلة تجارية في طرطوس على اثر اصابته بالحمى ، في سنة ١٨٥٥ وقد نقل جثمانه الى بيروت بعد هذا التاريخ بعامين حيث ووري التراب باحتفال مهيب.

وقد عاني الفن المسرحي انهياراً ١) اثر وفاة مارون ، ولم يقدم من آثاره شيء ، حتى سنة ١٨٦٠ حين اعاد نقولا النقاش تمثيل رواية « الحسود » على مسرح اخيه القديم ، وقد نشر نقولا في نفس العام مسرحيات اخيه مارون الثلاث في مجلد واحد ٢) ، وهي من نوع الاوبرا الخفيفة ، أي كوميديات تصحبها الموسيقى وتتخللها اغان ورقصات عديدة . وفيما يلي موجز للمسرحية الاولى « البخيل » .

« اتفق التاجر الموسر المسن « قراد » مع « الثعلبي » العجوز على ان يتزوج ابنة « هند » وهي ارملة شابة ، ويأتي الى بيت الثعلبي لاقامة حفلة الزواج ، ولكن هند تحب الشاب عيسى صديق اخيها غالي . ويقوم هؤلاء الثلاثة بالاشتراك مع خادمتهم العجوز ام ريشة ، بالتآمر في لباقة لصرف « قراد » عن مشروع زواجه ، وفي الوقت نفسه لحمله على بذل بعض ماله العزيز على نفسه .

فتقوم هند بارهاق قراد بمطالب باهظة ، حتى ينتهي به الامر الى السعي للتخلص منها ، ولكن هند تعلمه انها لا ترغب في فض خطوبتهما ، وفي تلك اللحظة يظهر غالي وقد تنكر في زي آغا تركي مع سكرتيره عيسى وبعض الجنود ، ويهددون قراد ويرغمونه على دفع مبلغ كبير من المال لعيسى كمكافأة لهند التي تتزوج عندئذ من عيسى. ويكشف الاتراك المزعومون عن حقيقتهم لقراد الذي يكون قد بلغ من الخجل حدا يجعله يصفح عنهم بسماحة . »

وفي لغة المسرحية ثقل وتكلف وهي بفصولها الخمسة الضعيفة مملة للغاية ، وعندما يأتي المؤلف بفكاهة يرى الناشر ضرورة للتنويه بها في الهامش.وفي هذه المسرحية تقابل العنصر الفكاهي المعروف وهو التحدث بلهجات عامية مختلفة ، مثل ذلك : ام ريشة الفلاحة اللبنانية، وغالي التركي،وعيسى السكرتير المصري.

وقد تأسست في سوريا – بتأثير جهود آل النقاش – فرقاً عدة ، ونظراً لعدم وجود ممثلين مدربين كان يضطر المؤلفون اذا أرادوا لمسرحياتهم الظهور – الى القيام بتأليف فرق من الهواة وتدريبها بانفسهم .

واشتهر بالجمع بين التأليف والاخراج وادارة المسرح الشيخ ابو خليل القباني في بيروت واسكندر فرح في دمشق ، وقد كان هذا منظماً وممثلا اكثر منه مؤلفاً . ولد فرح في دمشق في سنة ١٨٥٥ ، وهي السنة التي توفي فيها مارون النقاش ، وتعلم في مدرسة الجزويت في دمشق حيث تعرف – عن طريق مسرحيات الهواة التي كانت تمثل في المدرسة – الى الدرامة الاوروبية ، واخرج بتشجيع مدحت باشا الذي كان يقيم حينئذ في دمشق . مسرحيته الاولى في حديقة عامة ، وكانت مترجمة عن الفرنسية ، ثم انتقل الى بيروت حيث انضم الى الشيخ ابي خليل في تأليف فرقة مسرحية ، ولكن الدسائس التي حيكت لهما أدت الى سحب الرخصة من فرح، فاضطر الى السفر الى القاهرة ، والاستقرار فيها مع ابي خليل قباني سنة ١٨٨٢ حيث قاما بجولات ناجحة .

ومنذ ذلك التاريخ قام المسرح في مصر على النسق الاوربي، وتألقت على مسرح « الجوق المصري العربي » – في شارع عبد العزيز بالقاهرة – مسرحيات عدة اكثرها مترجم ، والقليل منها مؤلف . ولقد اصيب هذا المسرح بنكسة في الآونة الاخيرة ، وذلك نتيجة لوفاة شريك اسكندرفرح الشيخ ابي خليل قباني، ثم – وهذا هو السبب المهم – نتيجة للموقف الذي اتخذه احد الممثلين الذين دربهم فرح وهو الشيخ سلامة حجازي ، فقد انفصل سلامة عن استاذه وانشأ مسرحاً مستقلا هو « دار التمثيل العربي» ، واغرى نفراً من ممثلي فرح بالعمل معه،وسلامة حجازي على نقيض من اسكندر فرح السوري المسيحي ، فهو مسلم ومصري ، وكان هذا سبباً كافياً لكسب عواطف الجمهور القاهري ، كما انه صرف اكبر اهتمامه الى الناحية الموسيقية في التمثيل ، وهذا ما لم يلتفت اليه اسكندر فرح ، والمصريون لا يحبون شيئاً حبهم للغناء والموسيقى الشعبية .

وفي سنة ١٩٠٩ اصيب الشيخ سلامة بالفالج ، ويبدو ان ايام تمثيله قد اشرفت على النهاية. وقد تفرع عن مسرح اسكندر

١) المرجع السابق ص ٥ «وهكذا دفن هذا الفن مع صاحبه وأصبح نسيا منسيا » ٢) « أرزة لبنان » « بيروت ١٨٦٩ »

فرح عدد من الفرق التمثيلية المتجولة الصغيرة ، يعثر بها المرء كثيراً في سوريا وفي مصر ، واشهرها فرق عوض فريدواحمد حجازي وابراهيم احمد والشيخ احمد الشامي . وشوهد هذا الاخير في شتاء سنة ١٩٠٨ يمثل رواية «روميو وجولييت» في الاقصر . وقد قام المرحوم نجيب حداد وهو اكثر مترجمي المسرحيات الاوربية نشاطاً بتأليف فرقة خاصة .

وفي سوريا كان عزيز عيد ورحمين بيبس . وهما اكثر الممثلين تأثراً بمدرسة اسكندر فرح ، وكان تلميذ فرح الوحيد الذي سافر الى المغرب ، هو سليمان القرداحي ، وقد توفي في صيف ١٩٠٩ في تونس .

وقد نشأت عدة نواد مسرحية للهواة في مدن عديدة في مصر ، كان اهمها جمعية المعارف في القاهرة التي أسسها اسكندر فرح سنة ١٨٨٦ ولا تزال تحت رعايته حتى اليوم ، وقام ناد مماثل في المنصورة تحت اسم جمعية ترقية التمثيل الادبي [١] .

ومن المحال ان يورد المرء ثبتاً قريباً للكمال للادب المسرحي العربي الحديث ، فالانتاج في هذا الميدان قد اصابه نشاط كبير جداً في هذه الايام . واكثر الروايات مترجمة ، وانفسها حقاً الترجمات الرائعة ، الى اللغة العامية ، لبعض كتابات راسين وموليير التي قام بها المرحوم محمد عثمان جلال بك [٢] ومن المؤسف ان هذه القطع — التي اظهر فيها هذا المترجم الموهوب مقدرته على نقل روح الاصل الاوربي في نطاق الخصائص الاصطلاحية للغة — لم يتعرف عليها المسرح قط . اما الترجمات المضحكة الفجة

١) إننا ندين لتوفيق فرح أخي اسكندر فرح ومدير أعماله بجانب كبير من هذه المعلومات .

٢) انظر نلينو : L'Arabo parlato in Egitto (Milan 1900) p. 349 - 351 وترجمات محمد عثمان جلال وهي :

١ - الشيخ متلوف «تارتوف لموليير» «القاهرة ١٨٧٣» اعيد طبعها سنة ١٨٩٠ مع «النساء العالمات» و«مدرسة الأزواج» و«مدرسة النساء» تحت عنوان : «الأربع روايات من نخب التياترات»

٢ - «الروايات المفيدة في علم التراجيدة» وهي روايات استر وايفجينيا والكسندر لراسين «القاهرة ١٨٩٣»

٣ - رواية الثقلاء « Les Facheux har Molière » «القاهرة ١٨٩٦» . وقد طبعت الشيخ متلوف ومدرسة الأزواج والنساء العالمات بحروف أوربية ، انظر :

Volers; Der Neue Arab. Tartufl. (Z. D. M. G.) 14 - 1891 p. 36 - 96. Sobernheim; « Madrasat el Azwag » Arab. Comodie, Transkribiert und ins Deutsche übersetzt (Berlin 1898). Kern; « Innisa al Abinat » Transkribiert, übersetzt (Leibzig 1898).

لشكسبير [٣] فهي لا تنقل اي اثر لروح هذا الشاعر الانجليزي العظيم ، ويلي هذا في المرتبة المسرحيات الرومانسية الفرنسية المعربة تعريباً هزيلا [٤] .

ونجد خيراً من هذا — الي حد ما — الصياغة المسرحية لقصص الف ليلة وليلة [٥] وقصص التاريخ العربي واساطير الابطال [٦] ، وهناك نوع آخر من المسرحية يستحق التنويه ، وهو المسرحية ذات الهدف السياسي [٧] ، ففيها استطاع الاحساس الصادق ان يشيع بعض الحياة في الاسلوب الادبي العربي الجامد .

ويساور كاتب هذا المقال الشك في امكان قيام فرع مكتمل التطور من هذا الغصن من الدراما الغربية الذي طعمت به شجرة الادب العربي . ولا يحمله على هذا الشك انعدام الاحساس الدرامي في هـذا الادب انعداماً ينبثق عن خصائصه الدينية والعنصرية فحسب ، بل ايضاً طبيعة لغته .

ان اللغة العربية الادبية لغة متحجرة ، جسد حفظته الاكفان ، لا يجد فيه متعة إلا سدنته من افراد طائفة الادباء والعلماء الدينيين . اما الشعب فادراكه لهذه اللغة ضئيل ، لا يتعرف فيها على نفسه او على احاسيسه ، اما اللغة الحية التي يفكر بها العربي ويتكلم بمصطلحاتها ، فرجال الدين او عباد العلم ينظرون اليها بازدراء ، فهم يرون في فساد هذه المومياء المحنطة مدى الف سنة والتي تحيطها قداسة زائفة ، انهيار مجدهم وبوار صناعتهم .

وعلى الكاتب الحديث قبل ان يسعى لابداع أي شيء عظيم ان ينصرف عن معالجة اشكال والفاظ واستعارات لغة قبائل بدوية عمرها الف وخمسمائة من السنين . [انتهى]

القاهرة ابراهيم شكر الله

٣) نورد على سبيل المثال : روميو وجولييت و«هملت» و«عطيل»

٤) «هرناني - ماري تيودور - لفيكتور هوجو» «كاترين هوارد - لدوماس» «فرناند - لساردو» «توريللي القاسي - لاونيه» «الأفريقية - لسكريب» وكثير غيرها ... وأهم المترجمين غير نجيب الحداد ، طانيوس عبده ، خليل مرشاق ، فرح انطون ، بشارة كنعان ، سمعان الأشقر .

٥) صيغ صياغة مسرحية من «ألف ليلة وليلة» قصص «هارون الرشيد» و«قوت القلوب» لمحمود واصف ، و«أنيس الجليس» لأبي خليل القباني .. وغيرها ..

٦) «صلاح الدين» لنجيب الحداد «الاسكندرية ١٨٩٨»

٧) اهمها رواية «الأزهر» «القاهرة ١٩٠٩» ، ورواية «دنشواي» ١٩٠٧ لحسن مرعي . وقد كتب عن المسرحية الأخيرة في مجلة :

La Revue du Monde Musulman vol. III Nov - Dec. No. 11 - 12 (Paris 1907) p. 504 - 509

وقد منعت الحكومة تمثيل هاتين الروايتين .

انتم الناس ايها ... الادباء

بقلم رشاد دارغوث



نشأنا نردد قول القائل: « اعذب الشعر اكذبه » فنصدق هذه الحكمة المكذوبة. كما كنا نصدق غيرها من الحكم والامثال الاخرى. فالناشئون، كالعذارى، قلوبهم هواء. فاذا قيل لهم: « الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون » وجب عليهم ان يتقبلوا هذا المصير المحتوم على اعتباره واجب الوجود.

والحقيقة هي بخلاف ذلك. وفي اعتقادي ان جميع هذه « الحكم » انما وردت للتعبير عما هو كائن، على غير ماجب ان يكون. فجاءت بصورة « الاثبات » الساخر، كي تستدعي ثورة « الانكار » الباني، لاقامة قواعد الحياة، على اسس افضل. فهي اثبات انكاري... على حد بعض تعابير الغربيين.

بهذه الروح فهمت الادب، والشعر منه، تعبيراً عن نزعات النفس البشرية التي تهدي بما ينبع من اغوارها، وتستهدي بما تتحسسه النفوس التي تعايشها

وعلى هذا يكون الادب تعبيراً ورسالة، في وقت واحد. كالرسم، او الموسيقى.... فالرسام يعبر بالالوان والمقاييس عما يرى... ويودع لوحته فكرة موحية... ومثله الموسيقار، يعبر بالاصوات عما يحس. ويودع قطعته فكرة دالة. فاذا جردنا اللوحة من الوانها، او القطعة من انغامها ـ او اذاجردنا هذه وتلك مما تنضحان به من فكرة الرسام وروح الموسيقار... عرفنا ما يتبقى من الادب اذا جردناه من رسالته. وهي رسالة مفروضة عليه بالالتزام، كما يفرض على الحي ان يتنفس، وعلى الشمس ان تضيء.

وعلى هذا لانرى لاحد المذاهب الادبية ميزة تفضله بها على سواه، الا بقدر ما يتسم به النتاج الادبي من طبعية، ويتميز به من طابع شخصي

فالرومانطيقية، والواقعية، والرمزية... وسائر ما تمخضت عنه الطرق الادبية من اساليب للاداء، كلها جميلة، شرط ان لا يتكلف صاحبها. ففي التكلف خروج بالادب نفسه عما يراد منه، وقضاء بالتقليد على شخصية الاديب

وغير خاف اننا شعوب، هي في دورها الحالي، احوج ما تكون الى ما تبني به غدها. فاذا اعتنق الاديب الفرنسي مذهب « الفن للفن » مثلا او مذهب « الوجودية »... وسواها من مذاهب « الترف » العقلي، فلا يصح لادبائنا ان يحذوا حذوه. وهم يعيشون في بلد ما برح الاضطراب يسود حياة المنزل فيه، والمدرسة والمجتمع

واذا خلا الادب الانكليزي من فكرة القومية، او اية فكرة اخرى توجه وتقود، فلا يصح ان يغفل ذلك ادبنا. ذلك بان الانكليز مثل الفرنسيين وسائر الشعوب المتطورة، قد باتوا والقومية تمازج دماءهم. اما نحن فما برحت تلك العاطفة عندنا كالزيت تطفو على تلك الدماء!

قلت هذا منذ سنين. واجدني بحاجة اليوم الى ترديده. فنحن لم نخط في هذا المضمار منذ خمسة عشر عاماً، الخطوات اللازمة. وذلك لاسفاف النقد، وافلاس الادباء

ولقد استعدت هذه الذكريات، وانا اطالع ديوانين، اصدرهما الشاعر الكبير شفيق معلوف: لكل زهر عبير، ثم نداء المجاذيف.

وقد سبق ان بعثت الى شاعرنا برأيي في الديوان الاول، وذلك في الرسالة التالي نصها، اورده بحذافيره كي انقل القاريء

الى « الجو » الذي عشته في الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥٢ :

عزيزي الشاعر الكبير

اتأذن لي بان اشكر لك اولا ما اتاحه لي ديوانك الاخير « لكل زهرة عبير » من متعة ، وما وجدته فيه ، وانا اطالعه من روح شعرية اصيلة لم استكثرها على صاحب « عبقر » !

وبعد فاننا في عصر تطغى فيه المادية ويسود العلم التجريبي. فلا الطرب للاذان والارواح من الانعتاق من قيودها ، في الحين بعد الحين ، والانطلاق في اجواء الروح ، على رفيف نغم او حفيف شعر .

الا انني صرت الى الاعتقاد ، بعد ان عركت الحياة ، منذ ربع قرن ، بان هذه الشعوب التي تتكلم العربية هي احوج الى غير « الكلام » منها اليه ، شعراً كان او نثراً . او هي احوج الى كلام ، « يوجهها » الى العمل ، منها الى « كلام » يداعب خيالاً ، او يدغدغ شعوراً ، او يرضي عاطفة .

ولعلك موافقي ، من بعد ، على ان افضل ما ينظمه شاعر لقراء العربية ، ما كان دعوة الى اشاعة العدالة الاجتماعية ، او تبشيراً بالعلم المنتج ، او حثاً على التضامن ، وطرح الأثرة البغيضة

وفي يقيني ان الخلود مكتوب للشاعر ممن نعقد عليه الامل في الوصول الى هذا الغرض ، ونرتجي عنده تحقيقه .

وفي ديوانك هذا بالذات « ومضات » من ذلك النور الذي نرجو ان يشرق علينا - « ففلاحك » صورة للعامل المجد - وان كنت اؤثر ان « ينضح »(١) جبينه بالجهد النافع لا ان « يبكي » و « راعيك » كذلك صورة اخاذة للعامل الكادح بسبيل الخير العام وان كنت افضل ان لا « ينتحب »(٢) الناي على فمه ، بل « يزمجر » ليحمل القطيع على الثورة الدائمة بسبيل غد افضل .

وهكذا نستفيق من سبات الخدر ، الذي ران علينا ، ونماشي القافلة على الاقل ، قافلة الانسانية المتطورة ، بعد ان كنا في حين من الدهر هداتها ، واليك تحيات الصديق المعجب المخلص.

ملاحظة : في القصيدة الاولى « الشاعر » وفي الثانية « الفلاح » خطأ لا بد من تصويبه ، في الطبعة التالية ، وانني ارجو المعذرة اذا أشرت اليه في هذا الهامش :

في البيت العاشر من القصيدة الاولى تقول :

تالله « كم شاعر اخو » حرق   يغص بالدمع وهو يبتسم

والصواب الذي لا يخفى هو « كم شاعر اخي .. » على الجر بكم الخبرية.

وفي البيت الرابع من القصيدة الثانية ورد ما يلي :

هل نظرت جبينه   « كم فيه لؤلؤة » تزينه

والصواب « كم فيه لؤلؤة » بالنصب على التمييز . اذ من المعلوم ان خبر « كم » المشار اليه في اعلاه ، اذا فصل عنها - كما هو الحال في هذا البيت - وجب نصبه - وهو المجرور اصلا ..

وقد تلقيت من صديقنا الشاعر الجواب التالي :

سان باولو : ١٥ اذار ١٩٥٢ اخي الاستاذ رشاد .

بيدي كتابك وفيه ما فيه من رائع بيانك ورقيق ملاحظتك. وانا يا اخي معك في كل ما تذكره عن النهوض بالشعب الذي نحن منه ، وبالشعوب التي تنطق بالضاد . وهذا النهوض لا يكون بالكلام ، كما تقول . بل بالعمل . والعمل يقوم بالتنشئة التربوية، وبحزم الحكام، وتأثير ارباب الاقلام من الصحافيين والكتاب. اما الشعر فمهمته تهذيب حواشيء الروح، وتقويم نزعات النفس، وشحذ الشعور . وهو جناح الانسانية الآخر . لا يستقيم لها جري الا متى اقترن بجناح المادة. خوافي لخواف، وقوادم لقوادم.

واني بعد ان قضيت ربع قرن في جو مادي محض ، وفي بيئة لا تؤمن الا بضجيج الحديد ، وازيز النار ، صرت مؤمناً ان المرء لا تخلص له المبادىء السامية ، والمقاصد العمرانية الا متى قرن العلوم المادية الى التسامي الروحي. وان اي خلل في التوازن بينهما هو مؤد لا محالة الى السقوط في المهواة .

ورب قائل يقول: ان الشرقيين ارباب ثقافة روحية ، فما هم بحاجة اليها. فاقول : ان الشرقيين - لا سيما في شرقنا العربي - هم احوج العالمين اليها في هذا العصر !

اشكر لك ملاحظتك على « كم » الخبرية. ولئن كنت قد رفعت بعدها مخفوضاً ومنصوبا ، فارتكازاً على قاعدة « لغوية » تقضي بالخفض والنصب والضم. وهي قاعدة « كم عمة » لك يا جرير وخالة.

ويجوز فيها التثليث كما ذكر أئمة اللغة دون ان يخصصوا هذه الحالة بفصل او بوصل . وقد فعلت ذلك جريا مع ذوقي الموسيقي الخاص . موفقاً بين آخر « اخو » واول « حرق » . غير ناصب « لؤلؤة » لانني اردتها مبدأ الخبر لا تمييزاً لعدد

اكرر لك شكري . حياك الله وابقاك للادب

المخلص : شفيق معلوف

---

(١) يقول الشاعر : « ضنت عليه بالدموع عيونه فبكى جبينه »

(٢) يقول الشاعر :

« فالناي لا يأتي على فمه   يعج من قلبه وينتحب »

انني لا اناقش ولا اوازن . بل اترك ذلك الى بداهة القارىء وانتقل معه الى الديوان الثاني : « نداء المجاذيف » ، لنبحث فيه عن الرسالة التي يستهدف تأديتها صاحبنا الشاعر الكبير . فنجد فوراً بداية محمودة . انها بداية رسالة قومية ، تستغل « الحرف والشراع » اللذين اتحفنا بهما المفكر المنتج في العالم ، فاخصبناه ايما اخصاب .

كما تستغل الفتوحات التي شاركنا فيها ، فكان لنا امجاد الامبراطوريات وحنين المغترب الى وطن هو ، في واقعه الطبيعي جنة الله في ارضه . فنحمد للشاعر السرور والمتعة اللذين يوفرهما لنا شعره الرقيق ، المحبب الجرس ، العذب الالحان . كما نحمد له تلك الرسالة يؤديها ، في الوقت الملائم .

غير ان الدموع والانين ، وسواها من الفاظ الضعف والاستكانة في معرض التبشير بالعزة سبيلا الى البعث القومي الفاظ منثورة في هذا الديوان ، كما هي منثورة في الديوان السابق .

يقول الشاعر في قصيدته « نداء المجاذيف » التي يحمل الديوان عنوانها واصفاً المغتربين في ساعة الرحيل :

اطلوا بوجه من كوى السفن واجم
كأني بهم دمع بكته الشواطىء

واتساءل مع القارىء لم لا يكون مغتربونا « جنوداً » ينفرون الى النضال والكفاح او « رجالا » تستهويهم المخاطر فيسارعون الى ركوب الاهوال ، والبسمة تعلو وجوههم ، من قوة الايمان والاطمئنان يشع من عيونهم بفعل الشعور بالكرامة ؟

ويخاطب الشاعر قصر الحمراء في قصيدته « غرناطة » بقوله :

لله قصر الحمراء ، لا برحت
ترويك منا المدامع الحمر

فنتساءل : ترى اليس لدينا سبيل آخر ، غير سبيل الدموع لاحياء ذلك المجد المفقود ، وبعث الهمم التي شادته في الغرب عنواناً على الحضارة الشامخة التي بلغتها هذه الامة في الشرق ؟

واود ان ادل القارىء الان على « شاعرة » ربما لم تكن لها الشهرة الفضفاضة ، الا ان لديها الموهبة التي تخلد . واقصد « ماري نوويل » الشاعرة الفرنسية ، في قصيدتها « هواجس » مثلا .

استمع الى هذا الشعر الذي يهز ... ولو كان بغير لغة صاحبته الاصلية :

ناموا ... لقد اوصدت باب الدار
فاذا جاء البؤس هذا المساء
وكان الجوع يصحبه
والهم رفيقاً لهما
فلن يدخلوا الدار قبل الغد
ناموا يا اطفالي !
وانتما يا عيني اغتمضا
فغداً تبصران شقاءنا
وتشاهدان النحس المحيق بنا
فقد حل كلاهما منذ زمن بعيد
هنا وهما عندنا لامد طويل
التعاسة نفسها تستنيم بعد العياء
فناموا بينما هي ترقد
غداً نواصل النزاع
لقد نامت ... والباب مغلق
رأفة ايها الرقاد ... استول علي

- اصغيني !
انا السكون اناجيك في الليل
الايام تسابقت والشهر انقضى ...
فماذا اعددت لابنك الصغير !
- هل هاجس الليل انت ؟ فاي باب خرقت
تلحق بي في داري المقفلة ؟
تحرك كبون الغد في قلبي المعذب
كما تحرك العصا الماء الراكدة
اذهب ... سنتحدث عند الفجر
فالنعاس ينتظرني
- انا لم احضر . كنت الى جنبك
حيث تركني النهار واستقبلني الليل
فكري ! هل جهز لديك
ما تسددين به دينك
وتدفعين المتأخر ... غداً ؟
- غداً ؟ وهل جاء الغد ؟
غداً ! ولكنني غداً اقبض مرتبي
واضيفه الى دخل زوجي فاسدد قسما
ثم اواصل السعي لدفع ما تبقى
- دعني الآن واسكت
لا توقظني ... كنت نائمة
- كلا ! سئم الدائن انتظارك
ولن تفيدك صلوات
فهو يصر على الدفع فوراً ...
واذا اعطيت ما لديك الآن
فمن اين تشترين الخبز لبيتك
ومن اين العلاج لابنك العليل ؟
- ساعود الى التطريز ليلا
ساستعيض عن الخبز بما هو ارخص ثمناً
ومتى شفي ابني
اضاعف شغلي ... فنستقر
والآن دعني ارقد
فالفجر لن يرحني اذ يفلت نعاسي

- كلا ! بقي لديك من الدراهم عشرون
لشراء الطعام ... ثم الوقود
والحليب للصغير ... واللباس للكبير
راجعي واحسبي، تبخرت دراهمك ...
- نهكني التعب
كلما مرت الايام نقصت نقودي
ماذا اعمل ؟ هل من سبيل
لتخفيف نفقاتي ؟ وبماذا ابدأ ؟
احذف الطعام، ام اللباس، ام العلاج ؟
كيف النجاة ؟
... ولكن ابني يتماثل الى الشفاء
آه ! دعني انام ، دعني !
فلم يعد لدي سوى برهة للراحة
- كلا حالة ابنك لاتبعث على الرضى
قد تساعدك المنية اذا اختطفته
طال مرضه
وهو يزيد في عسرك
فهل ترسلينه الى المأوى ؟
- لا ! لا ! اذا مات ولدي
اريده امام عيني
ولو حرمت الطعام ...
لكن الربيع آت
ومعه يشتد املي بشفائه
- كلا الربيع آت ! اما انت الى اين ..
الى اين تذهبين بعد ان عجزت رجلاك
ولهث قلبك ... وانحنى ظهرك
ولا روح تسندك ؟
- آه ! اسير واعمل
طالما الشمس تسطع
لكنني اخشى القعود
اخاف من مضجعي
اخاف ان يقوى علي الالم
فيقودني الليل الى ظلمة الابد
اود ان انام قبل الفجر
ولو ساعة واحدة

- نامي ... لقد هيجت افكارك
وحركتها كالنمل
يتسابق على فريسته
افلت هواجسك من مقرها المظلم
لتفتك بخلايا جسدك
- نامي ... ومتى اطل الفجر
اكون قد انهيت شغلي
فاستريح مع النهار
بينما يستأنف البؤس عمله
فهو هنا
يقرع بابك ...

(عن مجلة العصبة)

لم اورد هذه القصيدة، وهي كما ترى لا تحتاج الى تعليق او شروح حول الفاظها، او حول الفكرة التي تستنبطها كي اقارن بين نتاج ونتاج. ولكن كي اقول ان في الحياة اغراضاً كثيرة، بامكان الشاعر او الاديب ان يطرقها، متى آمن برسالته، وهي رسالة لاتقل شأناً عن رسالة الام في البيت، والمربي في المدرسة والمصلح في المجتمع

وغير خاف اننا لم نعد نقيس قيمة الشاعر او الاديب ببيتين قالها او مقالة نشرها او ديوان اصدره، بل كمجموع ما انتجه. كما اننا لانستسيغ هذا النتاج الرخيص الذي يعتمد على بهلوانية الالفاظ او غرابة الصور والحوادث، او يداعب خيالا ويوقظ نزعة جنسية. فقد تطورت الحياة وتشعبت سبلها. ولا مندوحة لنا عن متابعة ذلك التطور والسير في تلك الشعاب.

ويومئذ يكون لنا ادب حي، وشعر يهز سامعيه. فيكون لنا غد، وتقوم منا امة. فانتم الناس ايها الشعراء، وانتم بناة الامة ايها الادباء ...

رشاد دارغوث

رسالة

عشق

بقلم محمد عيتاني

من اسرة الجبل الملهم

..

الى الاستاذ احمد أبو سعد

أخي الشاعر : هذه رسالة في العشق ، والحق أنها اولى الرسائل الثلاث التي كتبها ذلك الشاعر الصوفي قبل أن تبتلعه أمواج الوله ، وهي كما تعلم ، آخر آفاق الحب ، بعد مرتبتي العشق والتيم . وقد كاد شاعرنا — رحمه الله — يتمها لفظا وصياغة، بعد أن اتمها معنى ووجودا وبعد ، فهو شاعر مغمور ، لا عليك إن تقبلت بعض رسائله الاولى ، التي اكتشفتها في خزانة عتيقة ، فنفضت عنها تراب السنين ، وجلوتها، ونشرتها ، وفاء للشاعر وحبيبته المجهولة ، وتحية اليك وأنت تطلع على الناس ، هذا الربيع ، بشرك الوضاء .

***

أطبقت عليه اجفاني حين مر. اناقة الحصر ، ووثبة الشعر ، تمر على هدبي . ذؤابته غزل من خيوط الزمن . منوال يشيع الى الآفاق ، رجع الصورة . كانت الشمس، الشمس الصغيرة — شمس وجهك يا إلهي — تضيء على مفرقه وتنهمر . ثم تشرق من عارضيه . حبيبي اسأل عنه الدروب . رأيته فجاءة ، وكأنه يطل من كوة السؤال . رأيته غريباً على العين والسمع ، يدفع في موكبه رعشات البنفسج ، واساطير الورود . صورته ليست من نسيج الاوهام ، انه مر في دمائي !

ألهب انفاسي بخمره. يبتسم فيضحك في بسمته جمال عينيه. كظلال الصفصاف على النهر .. على الارض مر خيال حبيبي .. جناح يمتد على عيني . فهل تكون الرحمة من ريشه هدبة ؟

على خده ظلال .. مر .. والضوء في قسماته .

وثار الياسمين .. على التراب الاسمر .. من خطواته ..

رأيته .. فقلت هذا جميل .. ومر

وشيعته الروح الى باب الحديقة

فهل يعود ذلك الغريب ، ليملأ بدفئه قلبي ؟

سمعته يسأل العابرين ، عن الطريق ...

صوته نبرة تختصر الالحان .

دفء ليالي الربيع، وراء الياسمين، ونجوى الروح الى الفجر .

ولهو القمر بعبير البرتقال ..

همسات في همسات تتلاشى ، ونجوى تمتد الى الاغوار ..

اي وتر رن في قيثارة الآلهة ؟

سمعته ، سمعت الغريب ، فتراقصت اذني .

الحان ، هي ، من آفاق الخلود تعود مع المزغرد النسيم ...

رنات على الموج ، وترانيم في مولد الربيع .

سمعته يا إلهي : نشيدة الراعي ، وأساطير السواقي ..

فهل يعود ذلك الغريب ليملأ بصوته قلبي ؟

***

وعاد الغريب .. بجفنه وجبينه ، وصوته وخطوته .

عاد فاتسعت رحاب قلبي. وخاطبته الروح اول عهدها بالكلمة.

عاد من وراء الدمعة ، من اعماق الجفون ، عاد حبيبي .

فكأنه قضى الآزال في ضلوعي . اعرفه، كأنما يده في يدي!

طيف كفه البيضاء الندية يمر على صدري .

بيده يمسح جراح نفسي .

أطل ، على محياه تحية وقبلة .

أطل ، يريدني ويعرف سراديب ماضي

واسأله فيجيب ، والنجوى تعقد بين قلبه وقلبي

خطوته على خطوي ، ودربه دربي

وملتقانا في نعيم القمر .

كأسه كاسي ، وخمره عصير يدي. وكرمته تنمو في ترابي .

حسبه من الحديث بسمة .

وانا حسبي ان المسها باهدابي !

***

يطوقني بذراعه فيطوق بالنار نفسي .

وارى في عوالم عينيه اعماق مصيري .

جميلة كالموت بعيدة .

ملونة مثل اعماق المرجان البهية .

يطوقني ببسمته وجفنه حبيبي ويسألني

كاسه كاسي ، ودربه دربي .

وصوته يرن في وجداني .

نبرة اسمعها كل يوم .
إنه الاحلام ، والماء ، والشمس .
انه الدماء ، والتراب ، والزنابق .
حبيبي .
فهل يعود . ليملأ بحبه قلبي ؟

***

وعاد الحبيب ، يده في يدي ، وروحه في اعماق روحي .
نبضات قلبه ترنح في ضميري .
يا إلهي . ما لهذا الليل يختنق بدمائي ؟
ما لخدي وعروقي وكاسي ؟ انا ارتعش يا إلهي !
دق الحب بابي . واطفأت الرياح سراجي .
نحن نسبح الى نهايات الظلام و حبيبي ثغره على ثغري !
حيث تشرق شموس الاحلام .
وجوده في وجودي ، وصدره يخفق من لهاثي .
أنا ارتعش يا إلهي .
فهل يترك الليل حبي ، ورعشاتي ؟
انا امر باناملي على خده وشعره ..
وأمسه بلهفتي .. وابثه دفء اشواقي .
ونحن نهرب ، على جناح الآهات ، الى الاعماق ..

***

وعاد الحبيب .. انه حبيبي ..
انا ظله ، وهو نبع صحوي واشراقي .
على قدميه القيت كؤوسي !
هنا . نحن هنا . رشفة تسمو وقبلة لا تخبو .
مرآته في نفسي ، ونفسي ظله وضياؤه .
تربد روحي فتكسوها شمسه القاً .
وأضيء ، فادفعه الى ابعاد آفاقي .
أحبه يا إلهي .
احبه احبه حتى تزول الرعشة من اعراقي .
فانا حبيبي ، وقلبه ينبض في ثيابي !
وانت ، الذي ملأت بحبه قلبي
ودفعت الى يده يدي
اراك فيه اجمل شمساً ، وابعد مدى ،
فهل تشرق من عينيه ، لتملأ بشمسك ، رحاب نفسي ؟

محمد عيتاني

الموسيقى الدينية عند الغربيين

جورج فريدريك هاندل

بقلم يوسف الشاروني

ولد جورج فريدريك هاندل في مدينة هال في الثالث والعشرين من فبراير عام ١٦٨٥ ، وكان ابوه يعمل في وظيفة تشبه حلاق الصحة في ايامنا ، لا يميل الى الموسيقى ، ويحلم بان يكون ابنه محامياً . وقبل ان يبلغ جورج الثامنة ، ذهب ابوه ليزور ابناً له من زوجة سابقة ، وكان هذا الابن يعمل في بلاط احد النبلاء ، فطلب منه هاندل الصغير ان يصحبه ولكن رجاءه ذهب عبثاً ، فما كان منه الا ان جرى خلف العربة على قدميه حتى اضطر ابوه الى اصطحابه . وهناك تعرف على موسيقيي البلاط وسمحوا له بان يتدرب على ارغنه ، فما ان سمعه الدوق حتى تنبه الى موهبته ، وتحادث بشأنه مع والده الذي استمع الى رغبات النبيل . وحين عاد هاندل الى هال تتلمذ على يدي سازاشو عازف الارغن بكاتدرائية المدينة الذي مرنه لكي يصبح بدوره عازفاً على آلات مختلفة حتى انه ابتدأ يؤلف قطعاً موسيقية في عمر العاشرة . فلما بلغ الثانية عشرة كان قد تلقن كل شيء من استاذه فغادره الى برلين حيث جذب انظار البلاط ، ثم عاد الى هال مرة اخرى واستمر في عمله مع سازاشو . وفي عام ١٦٩٧ مات والده ولكنه استمر في درسه حتى انه دخل الجامعة بهال عام ١٧٠٢ ولكنه نجح في نفس هذا العام في الحصول على وظيفة عازف ارغن بالكاتدرائية .

وبعد ذلك بسنة واحدة ذهب الى هامبورج حيث كانت الاوبرا الالمانية الوحيدة الناجحة ليقودها رينهولد كايزر وهناك صاحب ماثيسون وهو موسيقار موهوب وذهبا معاً في مدينة بوكستهود ليعزفا على ارغنها ولكنهما لم يتنافسا على العمل لانه قيل لهما بان افضلهما سيتزوج البنت الكبرى لعازف الارغن المتقاعد اللذان حلا محله ، فيبدو انهما لم تكن على شيء من الملاحة . ولقد تبارزا مرة واحدة في هامبورج وذلك عندما قدم ماثيسون اوبرا كليوباترا وترك قيادة الاوركسترا لهاندل حتى يذهب على المسرح ويغني دور انطونيو ولما عاد رفض هاندل ان يتنازل له عن قيادة الاوركسترا ، ولو مات هاندل

في هذه المبارزة لما اخرج لنا « المسيا » ولا قطعة « اسرائيل في مصر ». ولكن المبارزة انتهت بقطع زرار في جاكتة هاندل ثم عاد الاثنان اصدقاء، وفي كتابات ماثيسون نجد اشارات ذات اهمية بالغة لتاريخ هاندل .

وابتدأ هاندل بعد ذلك يؤلف ، ثم انتقل من هامبورغ بالمانيا الى ايطاليا . وكان قد رفض من قبل عروضاً عليه للذهاب اليها ، اما الان فهو يذهب الى ايطاليا على نفقته الخاصة سيد نفسه . وكان ينتقل بين فلورنسا وروما ونابولي وفينيسيا وبدأت شهرة هاندل تتسع . وفي عام ١٧١٠ وصل الى لندن ، وصلها كعازف للاوبرا الايطالية ، ومن عام ١٧١٤ تولى المُلك الملك جورج الاول فالف له هاندل قطعته الموسيقية الشهيرة « موسيقى المياه » عرضت بالمياه الملكية بنهر التايمز أمام الملك الذي سر منها حتى انه أثنى على الموسيقار وخصص له راتباً بمبلغ اربعماية جنيه سنويا . واصبح هاندل فيما بعد مدرس الموسيقى للاميرات وخصصت له الاميرة كارولين مائتين من الجنيهات علاوة على مرتبه

وقد تنقل بعد ذلك بين عدة بلاد كان في كل منها يؤلف ويعزف ولكن في عام ١٧٣٧ كان قد تكاثر منافسوه وحساده حتى اصيب بفلس وشلل نتيجة القلق والعمل المتزايد المرهق . والواقع ان هاندل لم يكن يعمل لعبقريته انما لارضاء الجمهور ، فالجمهور يطلب الاوبرات وهو يستطيع ان يؤلف من الاوبرات ما يؤلفه ثلاثة موسيقيين مجتمعين . ولكن الابرا لم تكن مجاله الحقيقي الذي فيه تتفتح عبقريته . حتى انه كثيراً ما كان يمسك مغنية الاوبرا كازوني Cuzzoni من ذراعها ويهددها بالقائها من النافذة ان لم تغن لحناً تراه لا يتفق وطريقتها . ولكن عبقريته الحقيقية كانت تتفتح في الاوراتوريو .

وفي عام ١٧٢٦ تجنس هاندل بالجنسية الانكليزية ، ومن عام ١٧٣٣ بدأ هاندل حياته العامة كموسيقار الشعب الانكليزي بان قدم قصته « الفصح » على مسرح الملك ، ثم تلا ذلك قطعته « دبوره » حيث كان دور الجوقة اكبر ، وزاد نصيب الجوقة في قطعته « شاول » عام ١٧٣٨ . اما قطعته « اسرائيل في مصر » التي الفها في نفس العام فقد كانت تغنيها الجوقة من اولها الى آخرها . اما المسيا فقدمت في مدينة دبلن في الثالث عشر من ابريل عام ١٧٤٢ ثم الف بعدها « شمشون » ثم « بلشاصر » ثم « يهوذا المواَبي » ثم يهوشع وسليمان وابنة يفتاح وغير ذلك من القطع الدينية . وكانت العداوة لهاندل في ذلك الوقت قد ماتت ولو ان متاعبه كانت كثيرة فأفلس الا انه ما لبث ان ضغط على نفسه في العمل حتى سدد ديونه بل اكتسب مبلغاً من الكبر بحيث سمح له باهداء ارغن لمستشفى مدينة فوندلنج Foundling واقام لذلك حفلة في الخامس عشر من مايو عام ١٧٥٠ عزف فيها جزءاً من المسيا . وفي عام ١٧٥١ بدأ نظره يضعف ، فاجريت له عدة عمليات جراحية قام باحدها نفس الجراح الذي قام بعمل عملية لباخ . وقد فقد هو ايضاً بصره عام ١٧٥٢ . ومع ذلك استمر في عمله وقام بعزف المسيا قبل وفاته باسبوع واحد . وبينما دفن باخ في مقبرة سرعان ما نسيت ، نجد ان هاندل قد دفن في مقبرة العظماء بوستمنستر بانكلترا .

والواقع ان هناك اوجهاً كثيرة للمقارنة بين هذين الموسيقيين العظيمين ، فكلاهما ولد في عام واحد وعلى مقربة من بعضهما . وبينما كان باخ يعتبر موسيقاه جزءاً من صلاته كان هاندل في الواقع يمرن مهارته الموسيقية في مواضيع دينية فهو رجل دنيا قبل ان يكون رجل دين رغم تقواه . ولهذا فان باخ دخل عالم الموسيقى عن طريقة الارغن اما هاندل فدخله عن طريق المسرح بوجه عام . وباخ رغم اهتمامه باعمال معاصريه الاجانب لم يغادر المانيا وظل المانياً اصيلا ، اما هاندل فكان رجلا دولياً شاركت فيه على الاقل ثلاثة بلاد ، المانيا التي اعطته المولد والصرامة والاجتهاد في العمل ، وايطاليا التي اعطته المران والدربة ، وانكلترا التي امضى فيها بقية حياته بجنسيتها . ومن الغريب ان العمل فيها كان نهاية كل منهما ، وقام طبيب واحد بعملية لكل منهما . وبينما كان باخ يتتبع موسيقى هاندل فان هاندل لم يكن يعرف شيئاً عن باخ

وقبل ان نختم حديثنا عن هاندل لابد ان نذكر كلمة عن قطعة « المسيا » تلك القطعة التي كتبها هاندل في ظروف عسرة اهمها الافلاس، وكان في السادسة والخمسين، وحيداً في العالم، يزايله شبح مرض خطير فانزوى بكبريائه بمنزله البسيط بشارع بروك. كان رجلا حزيناً يواجه مستقبلا كله فراغ. ومن هذا الصيف الحزين، صيف عام ١٧٤١ ارسل له صديقه ينز Yennens منتخبات من كلام الانجيل اسمها « المسيا ». كان هاندل الانسان منكسراً، ولكن هاندل الفنان استجاب لنداء هذه الكلمات، فلا بد ان يعبر عنها بالموسيقى. وربما — لاول مرة — بدأ عمله من غير التفكير في ارضاء الجماهير او الممولين او الولاة او الحكام. فهذه هي موسيقاه الخاصة. ولم يغادر منزله لمدة اربعة وعشرين يوماً، وكان خادمه يحضر له الطعام وكثيراً ما يعود فيجد أن سيده لم يمس الطعام بل يحدق في الفراغ. وذات يوم بعد ان أتم هاندل القطعة التي تعرف باسم «هللويا كورس» وجده خادمه جالساً الى منضدته والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول « اظن اني رأيت السماء كلها بل رأيت الله نفسه » ويبدو ان هاندل قد مر برؤيا رائعة كما مر من قبله القديس يوحنا في جزيرة بطمس « وسمعت صوتاً عظيماً.. يقول: اكتب الامور التي رأيتها والامور الكائنة والتي ستكون ». فالواقع ان ابداع المسيا في اربعة وعشرين يوماً — المسيا التي تعد من اعظم الاعمال الموسيقية في العالم — لم تكن من خلق رجل محطم بل من عملاق يهبط عليه الالهام.

وحين انتهت ايام الوحي وضع المخطوط الثمين في احد الادراج. فلم يفكر هاندل في اخراجه لان لندن كانت قد اصاخت اليه اذناً صماء. ولحسن الحظ اتته دعوة لزيارة دبلن بعد اسابيع قليلة من تأليف المسيا، فلبى الدعوة وهناك عزفت المسيا لاول مرة امام جمهور متحمس. وبعد عودة هاندل الى لندن لم تتقبل لندن المسيا مباشرة بل استغرق ذلك بعض الوقت وكان هاندل يعرف الضجة التي سيثيرها عنوان المسيا ولهذا اسماها «اوراتوريو مقدس» ولكن هذه الحيلة لم تعفه من هجمات رجال الدين الذين وصفوا القطعة بالتجديف، ولكن عند عرضها لاول مرة أخذ الملك عندما كان يستمع الى الجملة « لان الرب القدير على كل شيء يملك For the lord God Omniqotent reigneth » حتى انه وقف على قدميه فوقف المستمعون جميعهم وظلوا وقوفاً حتى النهاية، ومنذ ذلك الوقت كلما استمع الناس الى الهللويا كورس — وهي التي تحوي هذه الجملة — فانهم يقفون حتى نهاية المسيا، وبذلك اصبحت تقليداً انجليزيا متوارثاً. ولكن لسبب لاندريه، لم تشتهر المسيا كقطعة موسيقية شعبية بسرعة، ففي اثناء حياة هاندل كانت تعزف في بعض الحفلات الخيرية لصالح مستشفى فوندلنج وكان مجموع دخل هذه الحفلات اكثر من الف جنيه. ومع ذلك فان المسيا كانت احب القطع الى قلب هاندل. ولا يعتبر الانكليز اليوم المسيا قطعة موسيقية فنية رائعة فحسب بل حدثاً وطنياً ايضاً بحيث ان عيد الميلاد الانكليزي الذي يخلو من المسيا فكأنما يخلو من شجرة عيد الميلاد. ان المسيا هي القطعة الفريدة في تاريخ الموسيقى باعتبارها المحاولة الاولى لمعالجة ماساة التكفير عن البشر في شعر وقصيدة، فقد تناول البعض حياة المسيح كسلسلة من الاحداث، ولكن ما حدث للمسيح في اثناء حياته كان بالنسبة لهاندل رموزاً اكثر منها وقائع. فكان يرى في ميلاده — كما تنبأ عنه العهد القديم هبة عظمى للبشر، وكان يرى في موته وقيامته امل الانسانية في الخلود. فالمسيا كانت بالنسبة لهاندل قصيدة شعرية، بل موضوعاً سماويا معبراً عنه في لغة سلسة عبر هو عنه بالموسيقى.

الاستاذ يوسف الشاروني

ويبدأ الاوراتوريو بافتتاحية حزينة يائسة كأنما تعبر عن عالم خاطىء، ثم تبدو — كوميض من شعاع الشمس هذه الكلمات: عـزوا عزوا شعبي Confort ye Confort ye my people ونبوءات الانبياء بالمسيا. وبعد التنبوءات تنتقل القصيدة الى بيت لحم على اجنحة لحن ريفي لطيف يقال ان هاندل استوحاه من ايام حداثته حين كان يصغي الى بعض الرعاة في شوارع روما اثناء عيد الميلاد. وخلال هذا الانتظار تنبعث

اصوات الملائكة ، معلنة ميلاد المسيح ومغزاه للانسانية

والجزء الثاني من الاوراتوريو يقص علينا قصة احزان المسيح وشجاه واساه ، ولا يبدو ان الموسيقى تعبر هنا عن الالم الجسدي بل عن عقيدة الفداء ، ثم يذيع التلاميذ هذه العقيدة المسيحية على العالم الوثني ثم ينتهي هذا الجزء « بالهللويا كورس » يعلن الانتصار على الخطيئة والموت .

ويبدأ الجزء الثالث بصوت ينشد قائلا « اني اعلم ان مخلصي حي I Know that my redameer liveth فبعد صيحات التهليل الداوية التي يبدو انها تخرج من قلوب ضالة امتلأت ايماناً منذ زمن وجيز ، يقبل هذا الصوت النقي كصيحة ايمان خارجة من الانسان . ان هذا الجزء كله من الاوراتوريو هو اعتراف بالايمان ، هو تقبل الانسان لهبة الخلود . ومن هذا الصوت المنفرد يبني هاندل موسيقاه حتى تصل قمتها في « الامين كورس Amen Chorus. ان المسيا انشودة وليست عظة . ولكن لان موضوعها من اهم المواضيع بالنسبة للانسان ـ وهو خلاص البشر ـ ولان تعبيرها رائع فانها تسمو بنا وتحملنا على اجنحة فوق كل المجادلات والنظريات البشرية ... الى جو من الصفاء الروحي . ان المسيا ليست موسيقى كنسية بل الاصح انها موسيقى يصل من خلالها المستمع الى تجربة دينية عميقة

بعد هاندل :

والواقع ان عبقرية هاندل قد طغت على باقي القرن الثامن عشر كله ، ويتفق اغلب الناس على ان باقي القرن قد انتج لنا اوراتوريو واحد ممتاز هو اوراتوريو الخليقة لهايدن ، لان « جبل الزيتون » لبيتهوفن يعد عملا من اعمال الدرجة الثانية . « والخليقة » ليست عملا دراميا كما كان الاوراتوريو لدى هاندل ولكنه كان عملا تصويريا في جوهره ، فالواقعية الخالصة التي يطبع بها هايدن الصور كما وردت في سفر التكوين انما هي شيء مألوف لدى كل شخص . ولكن هذه السذاجة ـ التي كانت شيئاً شاذاً بالنسبة لعصر هايدن ـ لايجب ان تحجب عنا تصورات هايدن الرائعة ، كما ان عظمة الكورس في قطع مثل « السماء تخبر » نستطيع ان نقف جنباً الى جنب مع خير ما انتجه هاندل . ويجدر بنا ان نشير الى ان « الخليقة » هو نص مختار من الفردوس المفقود لملتون . كما ان هايدن وضع مؤلفاً دينياً آخر على اشعار لتومسون وعنوانه « الفصول »

وفي نهاية الربع الاول من القرن التاسع عشر كتب مندلسون اول اوراتوريو له « القديس بولس » الذي جعل منه ـ لاسيما في انجلترا ـ خليفة هاندل الطبيعي . ويقال ان اهتمام مندلسون بالاوراتوريو يرجع الى اهتمامه بنشر اعمال باخ . ولكن ذلك لايطابق الواقع كل المطابقة فقد كان مندلسون مهتما كذلك بهاندل . فالصراع بين كهنة البعل والنبي ، وسقوط المطر في قطعته « ايليا » يظهر فيها تأثير باخ ، ولو اننا لا نستطيع ان نقول بان اعمال مندلسون تقف جنباً الى جنب مع اعمال هذين العبقريين . وليس معنى ذلك الخفض من عبقرية مندلسون ، ولكن معناه ان خير موسيقى وضعها مندلسون لم تكن موسيقى الاوراتوريو ، لان مندلسون لم يكن لديه العمق الديني الذي كان عند باخ ولا الاحساس الدرامي الذي كان لدى هاندل

والواقع ان الاهتمام بالموسيقى الكنسية منذ ايام هاندل قد حاول ان يشق له طريقاً عن غير طريق الاوراتوريو ، وربما كان القداس الكاثوليكي هو خير طريق له . فموزارت وهايدن قد الفا عدداً من القداس ذات اهمية بالغة وجمال رائع . ولو ان هذه المدرسة ـ التي اتجهت هذا النحو في الموسيقى ـ قد اصبحت في مقدمة التاريخ . ولا شك ان خير ما انتجته هذه المدرسة هو قداس بيتهوفن « مقام دو كبير » وهو عمل بيتهوفن ناضج كل النضوج ومن اروع الاعمال الكوراليه في العالم ، يقارنه البعض بالكورس في الحركة الاخيرة من السمفونية التاسعة . كذلك الف برامز وفيردي مجموعات تسمى ريكويم ، والريكويم في اصله موسيقى القداس الجنائزي بالكنيسة الكاثوليكية . وريكويم برامز ليس في الواقع الا وصفاً لفقرات من الكتاب المقدس ، ويمكن ان يقال الامر نفسه في ريكويم فيردي ، فهو ليس عملا دينياً ولكنه استفادة عبقري من عباقرة الدراما من الكلمات الكنسية للتعبير عن اعمق مشاعر الموسيقار . ولهذا فهي تبدو عملا من الاعمال المسرحية ، وهذا ليس دلالة على عدم الاخلاص ، بل قد يكون العكس هو الصحيح .

مراجع البحث : حسين فوزي : الموسيقى السمفونية

Lilian Boldwin : A listener's Anthology of music

Sir W. H. Hadour : Music.

A. L. Bacharach : The musical Companion.

Eric Blom : Everyman's Dictionary of music

هذا عدا الرجوع الى الكتاب المقدس ودائرة المعارف البريطانية .

الخرطوم **يوسف الشاروني**

شبح في الظلام

لابراهيم العريض

البحرين

روعة اخراج

أنكر المخرج «الكثير الفضول» شأنها، كالحسان، في التمثيل
لا لأن الشباب غافٍ لديها فهي بين الشباب ذات ميولِ
ولها، ما لأختها ، حُرّ وجهٍ لم تلامسه ريشة التجميل
يفتن الخلق نضرة ورواء بجبين صَلتٍ وخدٍ أسيل
قال : ان الجمال ليس بكاف في المآسي بدونِ قصدِ السبيل
لن تجيد التعبير الا عيونٌ مارست فنها بصبر جميـــل
فهي لا تملك الأناة لكي تغرب في فنها بلا تهويل
وهي لا تُحسنُ التصرف في الحزن ـ وان مسها ـ بغير العويل
أين صدق الاحساس ؟ انّ جموداً يعتري وجهها لدى التقبيل
رب اخلادة ، لها في التأني الف معنىً ضاعت لعجز المنيـل
فكأن التوفيق في الفن اصلا عند ناس ضرب من المستحيل
تلك مأساتها ، فلم تلقَ أختٌ من مساماة أختها كأساها

***

لم تزل في بزوغها مثل نجم تتمنى لو انها كالبقيه
من حسان اذا تجمعن تلقاهن تصفيق معشر بالتحيه
فاذا المسرح الكبير صلاة وسلام على الوجوه الوضيه
يتشهين عاطلات ، وان اظهر للخلق حسنهن حُليه
حبذا هن كالطواويس .. يُدبرن ذيولا ، لنشرها مطويه
ثم يعشن مقبلات بألوان من الفجر والضحى والعشيه
فتغار العيون غيرتها ، ان ظفرت من اغرائهن ، بنّيه
تشبه البرق في الشمول ، بومض وسط البخل جائر في العطيه
فاذا أسدل الستار على تمثيل تلك الاسطورة الأزليه
فتعالى صدى الهتاف كموج إثر موج من زاخر البشريه
مؤذناً بابتهاجه ، ظفرت دون سواها بلفتة المحظيه
حلم ... كلما تراءى لها في نزوات الصبا استثار شجاها

***

بينما اختها استمرت ترى في الدور تُعطاه من سمو الصفاتِ
ما تجلّي به على كل أنثى لا ترى الفن غير لهو الذوات
فهي ان مثلت سواء لديها أأثارت ام لم تثر رغبات
كاللواتي اذا انتظمن صفوفاً نثر الليل مثلهن مئات

ان قضى حبها بتمثيل دور الأم ، جاءتك فيه بالبدوات
فهي طوراً أمّ تعزُّ بنيها مثل « خنساء » ، يا لها تضحيات
وهي طوراً ام ثكول كـ « أسماء » طغى ثكلها امام الطغاة
وهي طورا أم كـ « مريم » خجلى بالذي قد قضاه رب الحياة
وهي هذي او تلك حسبَ هوى المُخرج ، حتى تعيده مرات
ثم تأتي به كأحسن ما يُطلبُ منها تمثيله في أناة
فكأن الوجوه تبعث في مرآتها ثانياً بأجلى سمات
او كأن التاريخ يرجع منها القهقرى ، اذ تعود ذاتاً سواها

***

وتظل الاختان .. كل لها مطلعها ، كالجوزاء دور الليالي
فاذا الفن .. بينما هو بذخ عند هذي وثروة من جمال
يؤنس الموسرين ملكا، وعرضاً ينصف المعدمين،فالضحك عال
تتسلى به الحظوظ على الغرم سواء ، والكل غير مبال
غدت الحال بعدها مثل أمس ام لهم في ضحى غد غير حال
واذا عند تلك يعبق مسكاً فيه للخلق عبرة الأجيال
يستدر الدموع ان صوّر البؤس ، ويغني عن صدقه بالمثال
قائلا للأنام : حتام تعنى بحياة شعارها : « أنا مالي ! » ؟
فتخير لمثلها صفحات من خيالاتنا ، فسفرك خال
من ليال تمر حافلة ، في جذوة الشوق ، بالنوى والنوال
ان تكن من صنع الخيال ، فكم رائعة من حقيقة كالخيال
متعتان اثنتان في زهرة الفن ، هما لونها وطيب شذاها

***

وارتأى الحسن ان تذوق العروسان ضروباً من شهده المشتار
فلأولاها الحياة كنور ولاخراها الحياة كنار
فنمتْ في غراسها « بهجة » مثل الخزامى في رونق وازدهار
كل يوم لها لباس جديد هو في الدفء ملفت الانظار
مثل شمس الشتاء حين أبتْ الا ظهوراً في عالم متوار
تحت فرو من الغمام بديع وبثوب من الثلوج « سواري »
كم جلاها الربيع عطلا ، فكانت بصباها أزكى من الأزهار
فلها في احتفال كل مساء مطلع كالهلال بين الدراري
لا يطيب الشراب الا اذا مالت كنشوى لدقة الأوتار
فتقرّ العيون ما تابعتها وهي من قصفها بدون قرار
نفحةٌ من جنوبها حيث حلّت في الدجى ، غيرة بأنف النهار
ويطل الصباح .. ضاحكة أزهاره حول ردنها وخطاها

***

وانطوت« مسك »في الشئون التي توحي بالا تميلَ يوماً لمشره
فهي طول النهار تعمل تدريباً . فتحيا في غمرة بعد غمره
بين هذا الذي يقول « اعيديه ! » وذاك الذي يردد شكره
وفئات تريد ان تتقن الصنع ، واخرى تكاد تحبط سحره
وفم كل همه كسب قوت ويد كل حرصها نيل شهره
وهي ما بينهم كحلم جميل يوشك الليل ان يحقق فجره
فاذا شعّت الطوالع فوق المدخل الضخم باسمها مستمره
فارتمى طالبو التذاكر حتى تنتفي من زحامهم غير مره
بكر الأولون حيث أعدت لذويها مقاعد واسره
وتلاهم من الجماهير جيش يمنة ــ يملأ الصفوف ــ ويسره
فأزيح الستار عن جهد أمس لمعت في جبينه هي غره
يقظة عبقرية ، وسط حلم دائم ، لا تشابه في رؤاها

عبير مسك

أشرقت بالأنوار واجهة المسرح كالطفل في ابتهاج العيد
فالجماهير عند مدخله الصاخب تلقي بسمعها في شرود
بين شاك وشاكر ، ومناد ومجيب ، وقائد ومقود
وحسان ــ وقد تبرجن ــ زاد الحسن، ضيقاً..من حاجة للشهود
في قوام يقول:شاهد لباسي ! ولباس يقول : باركْ حدودي !
وغواة لهم ــ اذا همسوا ــ رمقة هاو لكل عين وجيد
وفم يعلن القطائف للبيع ملحّاً بشره المعهود
ودنا الموعد المحدد فاحتلوا جميعاً مواقعاً للشهود
في انتشار كالبحر يلقي على الشاطىء وثباً بموجه المحشود
فستعمى « مسك » باعظم دور زان كالتاج رأس عام جديد
هو دور التي يحطمها الفن ، فتشقى بحظها المنكود
انها قصة المثات ، وما في عالم الفن واحد ينعاها

***

بدأ المرض في الظلام بسحر شع من فيض مقلة فتانه
طفقت تبعث الخيال على الشاشة حياً ــ تعيش انت زمانه
فبدا للعيان جنح من الليل ، مُضاءً كالفجر ، داخل حانه

جلس الفارغون تحت مراياها امام المناضد الملآنه
فاذا ما أتى على الكأس صاد هرعت نحوه باخرى بطانه
لو ترى الرف زاخراً بالقوارير ، كأن الغيوب فيها مصانه
ضربت حولها الشهود نطاقاً وثنياً ، فالكل معنىً وشانه
وهناك التخت الذي بات منه يسكب الناي كالطلى ألحانه
كلما هاج بالحلوم صداه كاد يقضي للراقصين لبانه
فترى في تخاصر كل زوج توأماً توأماً يدور مكانه
وحظايا ... ما بين عجزاء نصف نهب لذاتها ، وهيفاء بانه
مسفر ليلهنّ ، حتى جلا عن أوجه صبغُها ، فعاد دجاها

***

وتهز الستار .. بالدُفّ عُرضاً .. ذات دُف ، وكفها في ارتعادِ
تنقر الدف وهي تحلم معناه ، فتوحي بقدها المياد
وتهادى كأنها من لحون كلُ خطو ضرب من الانشاد
« أدر الكأس فالشفاه صواد ان ريب الزمان بالمرصاد »
« ما تذوّقت لذة العمر حتى حلّت الخمر عقدة من فؤادي »
« فتعلّلْ بها .. على كل حال . ما احتراز الجنون في الأصفاد »
« لا تقل : ان في الرشاد هناء عثر الجد في سبيل الرشاد »
« لم تزدني الحياة الا اعتباراً فارتشفها ، ولو بغصة صاد »
« وتنعّم ما دام في رونق العود شباب ، تغدو عليه الغوادي »
« كان في ناظر الزمان سواداً يا رعى الله حسن ذاك السواد ! »
واستدارت أمامهم بفتون ثم ألقت وشاحها في اتئاد
فاذا الحسن خمسة .. كم تمادى في تراخيه شعرها لو حواها

***

واستمرت كدمية ، لحظات في سكون ، ودُفّها في اليدين
أطفئت بعدها المصابيح كالمقلة ، فالليل مطبق الجفنين
عبثاً تبحث العيون عن الطيف ، ومجلاه عاطلا كاللجين
فاتناً في دلاله ، غير ما واراه خبثاً من فيض ذاك وذين
فلقد أدبرت تسر خطاها فحواها الستار في صفقتين
وتضاء الأنوار حمراء صرفاً فاذا الناس بعد في نشوتين
نشوة للذي رأوه ، واخرى من غناء باق على الشفتين
هو ما وقعته ميساً ، بدُف نال في كل ميسة نقرتين
كم تغنى الذى أساغ شراباً علناً ، فالخمار في العينين
لو تهادت في صالة الرقص هوناً ما ، وملقى الوشاح في طيتين
ثم ترضى بأن تنادمه ، حتى يغط الاثنان في سكرتين
كالضحايا .. من أول الليل حتى مطلع الفجر .. ان هما شهياها

***

هكذا كان بدءُ اول فصل وانتهى آخر الفصول بشنعه
لجنود المشاة خارج حان في انتشاء ، من جرعة بعد جرعه
فاذا فوق دكة ذات طفل جلست في طريقهم تحت شمعه
وعليها سيماء ذل وفقر فهي لم تحظ منذ شهر بشبعه
حضنت طفلها لترضعه من ذابل الحلمتين قد مل رضعه
شعرها الوحف كالسلاسل ، لولا انها اهملته رسلا وطبعه
وبدا خدها يحول بصبغ كان يوماً فناً فأصبح صنعه
أي وجـه ... كأن ماضيه فيه ، فطوراً غيم وطوراً أشعه
ذات حسن ، بالأمس كم سر رائيه وما عاد ينفق اليوم سلعه
وقوام من بعد ان كان بدعاً يتغنى به ، تحوّل ربعه
لم يزل في جفونها أثر من بلل لم يجر ليسقط دمعه
بسطت كفها اليهم فلم يبق مُسنّ الا وقهقه : هاها !

***

أطرقت منهم حياء لتخفي ثديها وهي تطلب الاحسانا
وأبى الطفل ان يجرّد من بُلغته فاستهل يبكي اللبانا
قال فيهم ذو غلظة : أسعفوها بقليل من الشراب .. هوانا
هي ان لم تعد لاحيائنا صالحة ، ربما كفت موتانا
قال غر : ألم تعش قبل عشر لشيوخ ، غدوا بها شبانا
وهي تختال ميسة أحياناً وهي تبدي فتونها احيانا
أ نشدينا ... ما كنت يا « هي » في حانتها تنشدينه .. لسوانا
قال شيخ : هل تذكرون « سواداً يا رعى الله حسن ذاك » زمانا
وصدى دفها .. تنقره من جانب الستر .. هكذا .. دن دانا
قال وغد فيهم : حنانيك أمي ! نظرة في وجوهنا كشنآنا
ان من تطلب المسرة ، لا تحمل في حضنها الرضيع حنانا
ورأوها تبكي فساروا ودويّ الليل منها كضحكة وصداها

خاتمة: بهجة

القت بالانوار ثانية مسرّجة البهو بانتهاء الروايه
وعلى جانبي ممر طويل كل أبوابه تؤدي لغايه

فاذا الناس مثل ذي حُلم اوقظ من حُلمه ـ وللحُلم آيه
او كذي سكرة يفتّح عينيه وفي وجهه بقايا حكايه
نهضوا قائمين في زحمة الحشر فهذا لطف وذاك رعايه
كلهم يطلب الخروج سريعاً وخطاهم في عثرة وعمايه
قد اصاب الذي تخلّف عنهم كل شيء جنونه في البدايه
فمشى خلفهم يقلب .. كالمعجب .. عينيه في سماء البنايه
وجرى بالحسان موكب حسن فاح منه شذى شهي الغوايه
هن لولا يشعرن منه بما نشعر ما النيَّ الجمال دعايه
ان للجسم جاذبيته من نسم لا يحس الا عنايه
هو ميراث كل أنثى ، وان لم تتنمر على الحجاب يداها

***

خرج الناس من مشاهدة العرض وهم يخلقونه اطوارا
بين راث يظل يمسح عينيه بمنديله فيشكو الغبارا
وأخي لذة قضى سهرة ممتعة تبهج النفوس ابتكارا
واديب احس ان حياة الخلق لا تستقل الا حوارا
كلهم يلهجون بالحمد .. يا مسك ! ـ لتمثيلك الذي لا يجارى
بينما في الاناث ظلّ كثيرات يخيلن ما شهدن سرارا
فالحظايا وهن مذ كنّ في خوفين ، ما زادهن الا اعتبارا
والعذارى اذا ذكرن الذي قاسته أم « بكر » فحكن مرارا
واللواتي وراءهن صغار غلب الحب .. فاحتضن الصغارا
وغوان لهن في الفن كعب خلن في فنها كشدو القمارى
فتبادرن بالتهاني اليها فهي ما بينهن بدر توارى
كان صوتاً تشب في القلب منه شعلة ، اذ تذيبه امواها

***

واستفاض الطريق بالقوم ، فالبعض ركوب ، والاكثرون مشاة
فترامى بهم الى كل درب ملتو ، حيث لا تغني الحياة
واذا حارة جرى الشق فيها ضيقاً ، لا تنيره شمعات
غير لحن من الضياء ضئيل في الليالي القمراء ، فهي انصيات
لو سرى في الظلام سارٍ لدوّت من بعيد بوطئه الرصفات
تخذتها في السرع بين طريقين عظيمين ـ كالجواز ـ السراة
موضع قد خلا من الانس حتى لتخال الورى هنالك ماتوا
فتشق الدرب الدجيّ مخبّاً ولعينيك ـ كالثعالى ـ التفات
لا ترى فيه بعد منتصف الليل سوى ما ينمى عليه الجناة
واقتضى ان يمر منه غيارى قد أثارت شجاهم « المأساة »
فيراعون من قريب بحس مستفز ، تدنو به العثرات
شبح في الظلام ، ام هي خود صورة اليأس في اطار أساها

***

قال مولاهم ، ليقطع حبل الصمت ، في ذلك المكان الدجي :
لم اشاهد في كل عمري عَرضاً يبعث الشجو في فؤاد الخلي
مثل تمثيل « مسك » دور هلوك فقدت في حياتها كل شي
قال ثان : .. وكان للفن فضل في جلاء الرؤى باجمل ذي
حيث كان الشروع ، اولها ، متسقاً مع ختامها الفني
هل شهدتم كرقصها بدءَ بدءٍ او سمعتم كصوتها الخمري
كيف دارت فصولها حول مغزى بانسجام ، فلم يعد بالخفي
فلوى ثالث اليه بناناً قائلا : أين أنت عن عبقري
أتقن القصة البديعة .. اخراجاً .. الا كل مخرج كنبي !
ثم لا تنس ذلك الطفل ، اذ اسبغ طهراً على هواها الزري
ليتنا ندرك الحقيقة في الأنثى ، كمأساة عصرنا الوثني
فهي في حب اهله العجل ، اذ اضحى فأمست* .. الهةً والهاً !

***

ودنت منهم فقالت : هلموا ! ساعة في وجار هذه السكينه
أتقاضى منكم عليها جنيها .. لا سواه .. وكم عددت مئينه
لا تخافوا مني فضيحة حال فسأبقى على لقاكم امينه
فأصيبوا بنكسة وامتعاض بعد أنس وسهرة في المدينه
واطاحت بها بعيداً يد الحانق .. لولا انامل مجنونه
واستغاثت بهم تقول : ارحموني بقروش ، فانني مسكينه
ما عرفت الحياة الا كنهر جارف في شقائه المر طينه
قال مولاهم : خسئت ! اصرفي عنا محياً قد شاهَ خلقاً .. وزينه ..
ابعدي عن ثوبي يديك ، فما نحن من الموضع الذي تعرفينه
قبح الله حاجة تركت مثلك تسعى كالحية المأفونه
ثم ساروا عنها ، نخارت على الأرض بـ « آه » كأنها سكينه
لم تكن غير « بهجة » الأمس ، تشكو نقمة ليس بينهم من وعاها

* هو نهارا وهي ليلا

البحرين — ابراهيم العريض

الشاعرة المنكوبة

بقلم السيدة سعاد أبو شقرا

هي اليوم في ضمير التاريخ ، قصة المرأة التي روعتها الاحداث وحطمت قلبها تقلبات الدهر الجائر . ومأساتها عبر الايام،ستبقى قصة حياة ملأتها صروف الدهر اهوالا ، فطبعتها بطابع الالم والتخوف ، وجعلت منها حديث الناس احقاباً طويلة .

ولئن اشتهر اسمها في صفحات التاريخ ، واختلفت في تقرير مصيرها روايات الاعلام ، فما معنى ذلك الا انها كانت شخصية شغلت اذهان الناس امداً فعني المؤرخون بدرس حياتها وتسطير مأساتها، واهتم الباحثون بالوقوف على اخبارها وبتقصي الحوادث التي مرت بها فتركت في فؤادها كلوماً مثخنة اودت بها الى حياة العزلة القاسية التي انقطعت فيها عن الناس اجمعين ، لتتفرغ الى مداواة الجراح التي اوسعها اليأس المرير والالم المبرح .

وهذه العجوز الطاعنة في السن والتي قضت قسماً كبيراً من حياتها في دير من اديرة الحيرة حمل اسمها طويلا ، كتب لها ان تذوق الآلام الواناً وضروباً ، وتتحمل المحن انواعاً لتكون بين البطلات صورة حية للالم المجسم ...

انها في التسعين من العمر ، ذهبت صروف الدهر ببهائها ، كما اتى البكاء على عينيها الجميلتين فافقدهما بريق الحياة ، واطفأ فيهما جذوة النور ، قاضياً بذلك على القلب المكلوم ان يفني حياته في ظلمة حالكة ابعدته عن دنيا الناس وانوارها وقربته من عالم الله وانواره.وانتشلته من عالم مادي تتصارع فيه الاهواء وتتقاتل فيه الضغائن الى عالم تخيم فيه ظلال الاستقرار وتنشر في ارجائه نفحات الطمأنينة المنبثقة عن ايمان صادق وعقيدة راسخة .

كانت العجوز الكفيفة البصر،مسترسلة في تاملاتها البعيدة، وعيناها اللتان انطفأ فيهما كل اثر للنور تتطلعان الى عالم مجهول ، حال جسدها المتداعي بين الروح المعذبة وبينه ، ساعة اقبلت احدى رفيقاتها في الدير تقول : « ان بالباب رجلا عظيماً يريد مقابلتك »واذنت الراهبة العمياء بعد لأي للزائر الكبير بالدخول فاذا بمن معه يقولون له:«انه امير هذه الخدرة» ويقصدون بهذا الاسم مدينة الكوفة فتقول الراهبة العمياء وهي تحرك عينيها المتعبتين علها تستطيع ان تستشف من خلال حجبها الكثيفة صورةهذا القائد الكبير الذي يتفقدها اليوم في عزلتها ووحشتها:

قولوا له : امن اولاد جبلة بن الأيهم انت ؟

فيقول الضيف الكبير : لا فتقول العجوز العمياء : أفمن ولد المنذر بن ماء السماء فيقول ثانية : لا... فتتنهد الراهبة العجوز وتقول : فمن انت اذن ؟

فيجب الضيف الكبير : ـ المغيرة بن شعبة الثقفي ـ فتسأله العجوز العمياء،ودموع الكبرياء تحاول ان تشق لها في الاحداق الذاوية طريقاً :

فما حاجتك ؟ فقال المغيرة: جئتك خاطباً .. ! وتبهت العجوز ويضطرب قلبها بعد هدوء طويل عرفه في حجرات الدير المطمئن لتقول للمغيرة : « لو كنت جئت تبغي جمالا او دنيا لزوجناك، ولكنك اردت ان تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر. ! واي خير في اجتماع اعور وعمياء وهذا الصليب ما لا يكون ابداً .. اما يكفيك فخراً ان تكون في ملك النعمان وبلاده فتديرها كما تريد ؟ قالت ذلك وبكت » .

لقد دارت الدنيا بالراهبة العجوز وخيل اليها ان الظلمات المتكاثفة فوق احداقها قد اخذت تتضاعف وتتدافع لتهوي على النفس التي صهرتها الآلام بضربات شديدة تقعدها الى الابد . ان الماضي يتحرك امامها الآن . وان لها من قوة الحدس ما يجعلها تفهم وتعي كل ما يدور بخلد المغيرة ورفاقه من المسلمين الفاتحين !.

لقد بكت امام المغيرة واجهشت بالبكاء ، فانهمرت الدموع من احداق احرقها بالماضي انسكاب الدموع ، وتطلع المغيرة فرأى امامه شبحاً شاحب اللون ، لكنه نابض بالحياة .. ان هذا الوجه الذي سبى بجماله قلوب المعجبين ، قد اصبح مدفنا لمعالم ذلك الجمال وها ان الدموع التي تنهمر امامه غزيرة من الاحداق المائتة تتخذ لها من التجاعيد التي احدثتها السنون في الخدين مجاري واسعة . ويقف المغيرة برهة صامتاً اجلالا لماض عزيز ينبعث في قلب الراهبة العمياء ، واكباراً للالم الشديد المرتسم في كل مقطع من مقاطع الوجه المتغضن ، ليقول بعد ذلك : « اي العرب كانت احب الى ابيك ؟ فتقول الراهبة : ربيعة ، ويدور بين المغيرة والحرقة حديث طويل يخرج بعده

المغيرة وهو يقول :

ادركت ما منيت نفسي خاليا ... لله درك يا ابنة النعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... ان الملوك ذكية الأذهان
اني لحلفك بالصليب مصدق ... والصدق اصدق حلفة الرهبان

هذا الخيال النحيل الذي عاش حقبة طويلة بين جدران الدير المسمى بدير هنـد ، هو الكفن الذي طويت فيه روح هند الاميرة لتعيش فيه روح هند القديسة التي انصرفت عن الناس الى العبادة ، وزهدت في الدنيا بل كرهتها لانها ما جنت منهـا الا عذاباً صهر قلبها واحنى ضلوعها فاعتزلت الناس واخلدت الى السكون ، وتركت العالم الدنيوي الفاني وهي الاميرة التي ولدت في القصور الزاهية ، وعاشت في الاجواء المترفة ، فتنكرت لهـا بعد ذلك القصور ، وغدرت بها الايام فتلفتت يمنة ويسرة ، فاذا بالكل اعداء ، واذا بالنكبات تهوي على البلاط العريق بالامجاد لتزعزع اركانه وتنشر الرعب والمحن في قلوب ساكنيه. وتتعذب هند ، وهي الملقبة عند العرب بالحرقة ، وتذوق طعم التشريد والوان الاهوال لتنتهي بعد ذلك الى الدير الذي هدأ روعهـا وسكن حدة آلامها ، فضمها اليه ضمة فيها كل معاني الحنـان والحدب . وتناست هي بين احضانه ساعات النعيم وحياة القصور ، وعملت جاهدة على تخدير آلامها بالصلوات الدائمة والانصراف بكليتها الى العبادة .

انها لمأساة طويلة مأساة الحرقة ! وان حياتها المديدة التي طوت تسعين عاماً ، كانت في معظمها قلقة ملأى بالاحداث الرهيبة التي اقضت مضاجع الحرقة ، وكتبت على جبينها آيات العذاب والشقاء .

ولدت هند بنت النعمان في احضان الملك ، وعرفت منـذ نعومة اظفارها ، معاني الاباء وشمم الامارة . ورأت وهي الفتاة الذكية مواكب الناس مبجلة تتوافد على قصور النعمان . فشبت فتاة جميلة ذات سحر اخاذ . وتعلمت وتهذبت فكانت اديبة تتذوق الادب وتنهل من معينه . واغدقت عليها الطبيعة العطاء ، فمنحتها قلباً رقيقاً ولساناً فصيحاً أخذ بجمال حديثه السامعون . واكتملت عناصر شخصيتها عندما تفتحت نفسها عن شاعرية خصبة وأدب رفيع . فرنت اليها عيون القوم ، وتحدثت باسمهـا أحياء العرب وانتقلت اخبارها الى بلاد العجم ، فكانت هند بنت النعمان ، او « الحرقة » الشاعرة زهرة يتمنى الكل شمها ، ونجماً يود الكل لو يتاح النظر اليه .

وعلى الرغم من ان الاخبار عنها كثيرة ، فان الروايات قد تضاربت فأتى علماء الكوفة باخبار تناقضها اخبار غيرهم . كما اختلفت الآراء في امر زواجها فقال فريق انها زوجت وهي في الحادية عشرة من عمرها بالشاعر الجاهلي الفصيح عدي بن زيد وقد كان نصرانياً ، بعد ان تعشقها زمناً اذ رآها تدخل مع نفر من جواريها بيعة في الحيرة . ثم طلقت بامر من والدها بعد ثلاث سنوات . ورواية تقول ان الشاعر انما كان زوجاً لعمتها اخت النعمان ، ورواية تذهب الى ان سبب دخولها الدير ، انما كان لنذر قطعته على نفسها عندما اسر ابوها النعمان لدى الفرس . واعتقادي ان دخول الحرقة الدير كان بعد موت ابيها اثر مقتل كسرى له .

مسكينة الحرقة ! لقد عاشت في فترة كان الفرس فيها لا يوالون المناذرة الا اذا كان هؤلاء يقدمون لهم مع ودهم الخالص الخدمات التي تدفع عنهم خطر الروم . وقديما قسمت السياسة الاستعمارية الشرق العربي الى جزأين يقاتل الواحد منهما الآخر لمصلحة الاجنبي . فكان عمال الروم وهم الغساسنة يربضون في دمشق وحوران والبلقاء وما جاور ذلك ، ليكونوا السد المنيع الذي تتحطم عليه جيوش الفرس التي يؤلف طلائعها عرب الحيرة . وما ساند الفرس دولة اللخميين ، الا لتكون لهم ما كانت غسان لبيزنطية .

وتصارعت امام عيني هند الحضارتان ، وتنافرت الاهواء وتصادمت ، والحرقة نصرانية مخلصة ذات عقيدة راسخة تؤمن بالمحبة وتتمنى لو يعم السلام ! !

لكن هذه النفس التواقة الى الدعة والطمأنينة لم تصل الى امانيها الا ساعة دخلت الدير بقلب محطم وعينين اقرح مآقيهما البكاء على الاهل والديار والملك العاثر .

لقد كان جمال الحرقة وما عرف عنها من علم وتادب ، مجلبة لهمومها وآلامها ، وسبباً مباشراً في تشريدها وغضب كسرى ابرويز على النعمان ابيها .

والمعروف ان كسرى ابرويز طلبها الى ابيها ، فرفض النعمان ان يزوج ابنته باعجمي فكان هذا الرفض سبباً في غضب كسرى واعلانه الحرب على النعمان . وكانت هند وهي الفتـاة المطيعة لابيها والشديدة الحب له ، جذوة اشعلت نيران حرب ضروس اضطرمت بين الاعاجم والنعمان ، فزعزت الملك الذي كان بالامس راسخاً ثابت الاسس ، ودمرت الديار التي كانت مربع الهناء والسعادة ، وتشتت القوم ايدي سبأ ، فمـات النعمان بامر كسرى وصرخ الايتام وناحت الثكالى ، وتشردت الحرقة هاربة من ايدي الاعاجم ، فسارت الى البادية قاصدة اصدقـاء

ابيها بالامس ، طالبة اجارة العرب لها وهي الاميرة العزيزة التي كان العرب الى امس قريب يطلبون ود ابيها وترنو عيونهم اليها ممتدحة تارة متقربة اخرى.

ولم تكن نقمة كسرى عليها وعلى ذويها لتقف في حدود الحيرة فقط ، فاذا بمناديه ينادي في احياء العرب وفي شعاب الجزيرة ، ان برئت الذمة ممن يؤوي الحرقة او يجيرها .

واتصور هنا موقف الفتاة الغضة العود ! ان النكبات جادة في طلبها . وهي بعد ان فقدت اباها وامارتها وعزها ، فتاة شريدة تلتجىء الى القبائل العربية نافخة في الصدور الهمم ، موقظة في النفوس الشفقة تطلب العون والملجأ وقد اعتادت ان يطلب الناس عونها والملجأ لديها ، وتبكي بدموع حرى ملكا عاثراً واباً عظيماً لم تطفىء دماؤه ثورة غضب كسرى وتعطشه للدماء.

ان الاهوال تحيط بها من كل صوب ، وهي بعد غضة الاهاب ملتاعة الفؤاد هربت كالمساكين الذين عاشوا على الحرمان فلم يعرفوا مرقداً ولا توسدوا الا الرمال . كانت تحاول ان تتعود العيش المر وان تجفف الدموع التي تتساقط محرقة والعدو يلاحقها ويهددها ...

والتجأت الى بني سنان فحموها ، وبقيت في حماهم مدة حتى بلغها ان كسرى ارسل جنداً الى بكر بن وائل فارسلت تنذرهم بابياتها الشهيرة :

الا ابلغ بني بكر رسولا   فقد جد النفير بعنقفير

فليت الجيش كلهم فداكم   ونفسي والسرير وذا السرير
كأني حين جد بهم اليكم   معلقة الذوائب بالعبير
فلو اني اطقت لذاك دفعا   اذاً لدفعته بدمي وزيري

وتعاودني صورة هند المتألمة الواجفة، تنام قلقة حيرى وتقوم محطمة الآمال ذاوية النفس ، آسفة ان تكون قد جرّت على قوم كرام آمنين كانوا في راحة وطمأنينة بال قبل ان تحل في ضيافتهم ، حروباً وويلات تقض مضاجع نسائهم وتيتم اطفالهم .

ويتعالى بعد ذلك صوت منادي كسرى ببراءة الذمة ممن يجير الحرقة او يحميها ؛ فتتخافها القبائل التي كانت كريمة مضيافاً تجل اللاجىء ، وتحمي المستجير . ويتنكر الناس للحرقة مبتعدين عنها ، فتتضاءل آمالها وتتعاظم مخاوفها واحزانها ، فتسترسل في ابياتها الطويلة تقول :

لم يبق في كل القبائل مطمع   لي في الجوار فقتل نفسي اعود
ما كنت احسب والحوادث جمة   اني اموت ولم يعد لي العود
حتى رأيت على جراية مولدي   ملكا يزول وشمله يتبدد
فدهيت بالنعمان اعظم دهية   ورجعت من بعد السميدع اطرد
وغشيت كل العرب حتى لم اجد   ذا مرة حسن الحفيظة يوجد
ورجعت في اضمار نفسي كي ات   عطشا وجوعا حره يتوقد

ما اشد على النفس ان يذل العزيز ويجوع الكريم الجواد ! وما اصعب ان تتشرد امرأة كانت بالامس القريب تخطر في احضان السعادة لتصير بعد ذلك الى بلقع تطلب فيه اللقمة فلا تجدها ، وتتقرب الى الذين كانت تحسبهم اصدقاء تستند الى مناصرتهم ، فاذا بهم يشيحون عنها بوجوههم معتذرين ، لان الفرس سيسفكون دماءهم ان هم عطفوا عليها .

وتنتحب الحرقة وتبكي متأسفة على خمود همة العرب، فتقول مسترسلة في ابياتها :

موتي بعيد ابيك كيف حياتنا   والموت فهو لكل حي مرصد
خاب الرجا ذهب العزاقل الوفا   لا السهل سهل ولا نجود نجد
جمدت عيون الناس من عبراتها   وقلوبهم صم صلاد جلد
لا يرحمون يتيمة محزونة   مقتولة الآباء نضواً تطرد
تبغي الجوار فلا تجار وقبل ذا   كان المنادي للجوار يسود

واشعار الحرقة تفيض رقة وسلاسة ، فقد كانت الآلام المبرحة مبعثها . ولهذا فان الدموع متناثرة بين الابيات والكلمات . لقد بكت الحرقة مجدها وبكت اباها واهلها ، ثم بكت حالتها المريرة وندبت حظها وشتاءها فما كانت قصائدها لتوقظ همم العرب التي اخمدها وعيد كسرى واغمد سيوفها صوت نذيره في الاحياء.

وهامت الحرقة على وجهها مدة ، تتأسف وتذوق آلام التشريد وانواع الهوان ، الى ان اجارتها الحجيجة وهي صفية

شاعرة بني شيبان المشهورة . فحارب قومها كسرى وجنوده واظهروا من البطولات ما اخاف جنود العجم وانزل بها الخسارات المتتالية، فانكسرت مراراً مستسلمة للعرب مما اضطر كسرى الى تجهيز جموع كثيرة جاء بها الى بلاد العرب يقودها بنفسه ثائراً لكرامة الفرس التي انتهكت على يد العرب .

وكانت الوقعة الشهيرة التي اشتد القتال فيها بين الفرس والعرب فابلى العرب فيها البلاء الحسن وكتبوا لانفسهم نصراً ساحقاً في يوم ذي قار الشهير الذي رأس القوم فيه عمرو بن ثعلب الشيباني اخو صفية صديقة الحرقة . فسفرت الحرقة بين يديه وقالت توصيه .

حافظ على النسب النفيس الارفع
بمدججين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة
بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة
بالسبق عادية بكل سميذع
واليوم يوم الفصل منك ومنهم
فاصبر لكل شديدة لم تدفع
ياعمرو ياعمرو الكفاح لدى الوغى
يا ليث غاب في اجتماع المجمع
اظهر وفاء يا فتى وعزيمة
اتضيع مجداً كان غير مضيع

وكأني بالحرقة في هذه الابيات تعود الى الحياة من جديد بعد ان فقدت كل بارقة امل بالحياة.. فهي هنا تنفخ الهمة في صدر عمرو وتذكره بمجد قومها وبعزة قومه وشجاعتهم وابائهم، هي في ابياتها هذه غير الفتاة المنتحبة اليائسة في قصيدتها الدالية .

وتم النصر للعرب، فتغلبوا على جيوش امة كانوا قبلا ينظرون اليها نظرة المسود الى السيد . واحترم العرب انفسهم بعد هذا النصر، فتيقظت في صدورهم الآمال وسمت في انظارهم الاهداف ،

وادركوا انهم ان اتحدوا صفوفاً كانت منهم الامة التي تستطيع ان تبني لنفسها مجداً رفيعاً وحمى منيعاً .

وقرت عين الحرقة التي سهدها الارق المتواصل والالم المبرح ، ولم تعد تشعر انها المرأة التي خذلها الاصدقاء، ونكل بها المحبون . فامتدحت بني شيبان بقصائد عامرة جميلة تفيض تقديراً وامتناناً وتشيد بشجاعتهم ووفائهم وخصت عمراً قائد المعركة بالاشعار الطويلة التي اعربت فيها عن عرفانها لجميله ونوهت فيها ببطولته وحميته :

لقد حاز عمرو مع قبائل قومه	فخاراً سما فوق النجوم الثواقب
م قلدوا لخما وغسان منة	بسمر القنا والعاديات الشوازب
وكل غلام بالمكرة باسل	ابي جريء للحروب مطالب

ثم التفتت الحرقة الى صديقتها الوفية والبطلة المقدام التي لولاها لما كان يوم ذي قار ولما كانت انتصارات العرب الجميلة . وحارت شاعرتنا ولم تدر كيف تشكر صديقتها وحبيبتها صفية التي تدين لها بحياتها وبكرامتها وبثأرها من كسرى .

انها اليوم فقيرة لم تعد تملك شيئاً . لقد عرفت الغنى والجاه العريض ثم عرفت بعدها الفقر الشديد والحاجة الى المجير . انها اليوم لا تملك الاشاعريتها ونفساً طيبة خيرة تحفظ العهد وترعى الذمم وتحمل لصديقتها اخلص الحب واصدق التقدير . لقد نظمت الحرقة الاشعار الطويلة في الحجيجة وجعلت شكرها لصديقتها على ما اقدمت عليه من بطولة ووفاء، شكراً يسجله التاريخ بكلمات لا تفنى . فقالت تمتدحها :

المجد والشرف الجسيم الأرفع	لصفية في قومها يتوقع
ذات الحجاب لغير يوم كريهة	ولدى الهياج يحل عنها البرقع
نطقاء لا لوصال خل نطقها	لا بل فصاحتها النوالي تسمع
لا انسى ليلة اذ نزلت بسوحها	والقلب يخفق والنواظر تدمع
والنفس في غمرات حسن فادح	ولهى الفؤاد كئيبة اتفجع

وفي هذه القصيدة الطويلة ، الرقيقة السبك والعامرة بمعانيها، تسرد الحرقة قصة اجارة الحجيجة لها ، وكيف استنهضت في سبيلها العرب ، وكيف طاردها كسرى ... واسلوبها في كل الابيات رقيق سلس ، وسردها جميل واضح يثبت انها شاعرة تحسن سبك المعاني وتنقاد لها القافية سلسة مطواعاً .

ولم يكتف بنو شيبان بانهم اجاروا الحرقة وثأروا لها من كسرى ، بل انهم بعد انتصارهم اكرموها وقدموا اليها الهدايا الثمينة فمنحوها الف ناقة وكثيراً غيرها من العطايا، حتى استعادت قوتها ومناعتها ، واقبلت على الحياة ثانية بعد يأس وخيبة كادا يقودانها الى القضاء على حياتها بنفسها .

ويقال انها تزوجت من احد ابناء الملوك المنذر بن الريان ، وانه قتل بين يدي الرسول في معركة احد . وقد يكون دخولها الدير بعد مقتل زوجها واستسلامها ثانية لليأس والحزن .

ليس هناك من مرجع يثبت السنة التي دخلت فيها الحرقة الدير واعتزلت الحياة . لكن المتفق عليه انها ابتنت ديراً في الحيرة دعي باسمها وعاشت القسم الاخير من حياتها ، عيشة الراهبة التي عافت الدنيا لانها لم تلق فيها الا عذاباً مبرحاً وآلاماً طاغية . وكانت حياتها الطويلة سجلا لاحداث جسيمة تركت في قلبها آثاراً دامية طبعت حياتها باللون الكئيب المحزن ، وجعلت الجو الذي تعيش فيه جواً قاتماً شديداً على النفس .

ثم شهدت بعد ذلك الفتوحات الاسلامية تتسع فتشمل الشرق العربي كله وتمتد الى ما هو ابعد من ذلك . لكنها كانت معتصمة بالدير لا تصل الى اذنيها صيحات الظفر ، ولا تهزها نفحات الفرح تهب بين الفاتحين فتذكي اندفاعهم الى نشر العقيدة الجديدة التي ايقظت البادية من رقدتها الطويلة ، وصيرت العرب، امة فاتحة لها غاياتها ولها رسالتها.

ويوم دخل خالد بن الوليد الحيرة فضمها الى الفتوحات الاسلامية ، قصد الى الحرقة فسلمت عليه ، فقال لها لما عرفها : « اسلمي حتى ازوجك رجلا شريفاً مسلماً » فقالت له : « اما الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي واما التزويج ، فلو كانت في بقية لما رغبت فيه ، فكيف وانا عجوز هرمة اترقب المنية بين اليوم وغد . » فقال سليني حاجة فقالت: « هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم تحفظونهم » . فقال : هذا فرض علينا اوصانا به نبينا قال : « ما لي حاجة غير هذا فاني ساكنة في هذا الدير الذي بنيته ملاصقاً لهذه الاعظم البالية من اهلي حتى الحق بهم . » فامر لها خالد بمعونة ومال وكسوة فقالت : انا في غنى عن هذا وشكرته .

ولما تركها خالد وخرج . جاءها بعض النصارى وقالوا : « ما صنع بك الامير فقالت :

صان لي ذمتي واكرم وجهي	انما يكرم الكريم الكريم

وهكذا افنت هند بنت النعمان بن المنذر ما بقي من حياتها في ديرها الصغير تتعبد بعد ان قاست من الحياة اهوالا مروعة وشهدت فيها المآسي تتوالى عليها لتملأ حياتها الطويلة آلاماً واحزاناً .

سعاد ابو شقرا

شريد

☆

للطفي جعفر امان

•

عدن

☆



يا ظلال الغيوم ماذا تكونين .. وعيناي كوّتان لظلمه ؟
لست في الدرب واجفاً منك .. فالدرب قديماً أضل خطوي رسمه
فأسكبي حوله الطيوف .. وبثي ما تشائين في الدجى من عَتمه
أنا لو تعلمين هذي الفيافي .. وحياتي لجاجها المدلهمه
كل ماض إهراقةٌ من صميم الليل .. ثكلى .. ناحت بمأتم نجمه
وُسرى الحاضر الوئيد.. ودنيا ما وراء الغيوب.. موكبُ غيمِه
سوف أمضي .. لكن الى أين؟ لا ادري .. خطى في الظلام تسري جريئه
لي إشراقة من الذات .. من ذاتي أنا .. هذه القتام الوضيئه
عبرت .. والحياة إثم وذنب .. وهي منها .. لكن ومنها بريئه
ويح نفسي ضحية تتردى في خناق التلال .. أية بيئه ؟
أنا في الناس سبحة من طهور لجعتها أنامل من خطيئه
وحدتي في العراء .. ظللها الدمع وأورى في جانبيها أواره
دهدهت كالظلال في غربة الارض .. وكالرق حابساً إعصاره
تحتمي بالعذاب في كل قبر نفض الليل في الدجى أحجاره
وهي في لينها .. وفي عطرها النامي شباب ونفحة من طهاره
أي شيء تهدُّ في إثره بلهاء .. مخلوعة الخطا .. محتاره ؟
أخطايا تهدت في دماها .. فمضت تنحر الهوى كفّاره ؟
أم غرام تلقفته الأماني .. فسلته مليحة. غدّاره ؟
شق بي في مجاهل الكون صوت .. عبقري الصدى جهلت قراره
أنا في يمّه البهيم كريح .. ودوي .. وومضة .. وحراره
العراء الرهيب يوجم من خلفي جديباً .. مكفناً آثاره
وسنا ناظري يرصده الأفق بعيداً .. شد المحال مزاره
أأنا الحي .. والدنا كلها حولي ضريح قبابه منهاره
ولأي الدروب يزجي بي الصوت محثاً .. مطلسماً أسراره
آه لو لم يفتق الفجر اجفاني .. وتلمح طفولتي أنواره
شقوتي انني على شفة الحسن .. وفي نبضة الهوى .. قيثاره
يا غريباً موزعاً كأمانيه شريداً كالنجدة المحتاره
غم أشجانه عني من الغرب ووارى عن ناظريه دياره
فمضى .. والحياة زاد كفاف من نشيد يقتات منه استعاره
تربأ النفس ان يحط بها العَوْدُ ويلقي لها النفاق نضاره

سنان راشد الدين او شيخ الجبل

باعتقادي ان المستشرق الروسي الكبير الاستاذ «ايفانوف» الذي يعيش منذ فترة طويلة بعاصمة الهند متخصصاً بالدراسات التاريخية الاسماعيلية وفلسفة الاديان الشرقية والعقائد الباطنية هو من انضج المؤرخين معرفة واعمق المستشرقين ذكاء واوسعهم اطلاعاً وابعدهم فهماً للقضايا التاريخية الاسماعيلية خاصة والاسلامية عامة، بل ومن المؤكد انه يأتي في طليعة الباحثين الذين تناولوا العقائد الملمح اليها بالدرس والتمحيص وتفهموها حق تفهمها وجالوا في ميدانها جولات كانت موفقة على الغالب لانها كشفت عن حقائق تاريخية هامة كانت مدفونة في بطون الكتب وقضت على كثير من الآراء والنظريات التي جالت مدة طويلة بافكار العلماء حول معتقدات هذه الطائفة المجهولة من الكثيرين، وهذه الشهادة بالمستشرق الكبير لا تمنعنا من القول بانه ككل انسان في الحياة يصيب الهدف تارة ويخطئه احياناً، او تقف حائلا بيننا وبين اقواله المتعددة ومباحثه الغزيرة فتمنعنا من ان نتعرض لها بمقابلة او بنقد وخاصة ما المح اليه بمؤلفاته الكثيرة عن العهد الامامي الاسماعيلي النزاري الذي يلي العهد الفاطمي بمصر او ما نسميه بفترة «عهد الستر الثانية» وهي تبدأ من الامام نزار نجل الامام المستنصر بالله آخر خليفة فاطمي في مصر سنة ٩٨٢ هـ. فابحاث الاستاذ «ايفانوف» عن تلك الفترة التاريخية الهامة لم تجل الحقائق المغمورة كما انها لم تصل بطالب المعرفة الى الحقيقة المنشودة وقد كانت مضطربة اضطراباً بيناً تسيطر عليها المتناقضات ويظهر عليها الارتباك وخاصة ما كان منها ذا ارتباط مباشر بتاريخ الاسماعيليين السوريين والادوار التي مروا بها وما تعرضت اليه دعوتهم من احداث ومفاجئات في فترات مختلفة، وهنا يبدو جلياً ان المصادر التاريخية التي تظهر الحقائق واضحة كانت قليلة جداً بين ايدي المستشرق الكبير او لعل القاعدة المتبعة لدى الاسماعيليين المعروفة «بالتقية» والتي تقضي بالكتمان الشديد وحجب كتب دعوتهم السرية عمن لا يستحقها من الناس او بالاحرى عن جميع الناس هو السبب الذي وقف سداً منيعاً امام الاستاذ «ايفانوف» فمنعه من الوصول الى الهدف المطلوب والورود الى منهل الحقيقة المنشود. وكم كنت اود من صميم قلبي ان امر بمباحث «ايفانوف» ومؤلفاته عن تلك الفترة المجهولة مرور الكرام فلا اتعرض لها بنقد او اتناولها ببحث كما تعودت ان لا اتعرض للذين بحثوا في الاسماعيليات وكتبوا عن العقائد الباطنية المستورة ولكن رأيت اخيراً ان هنالك مسؤولية كبرى وواجباً عظيماً يقعان على عاتقي بصفتي احد الذين يعنون بدراسة تاريخهم ويلمون باصول دعوتهم ويتتبعون الابحاث التي تنشر عنها كما وان اهمال الواقع وترك الحقيقة محجوبة وراء الستار جريمة نحاسب عليها لا سيما والقضية ذات ارتباط مباشر بتاريخ الاسماعيليين السوريين وبعقائدهم الباطنية التي نفخر بالانتساب اليها واعتناق قواعدها الدينية وما جاء به أئمتها وهم ورثة الانبياء من بيانات حكمية وتعاليم صحيحة، وبأمام من اعظم أئمتهم يحتل المرتبة السابعة حسب الترتيب الاسماعيلي المتفق عليه والقواعد المعروفة لديهم والتي المح اليها الداعي الاسماعيلي الاجل «شهاب الدين ابا فراس «بكتابه» سلم الصعود الى دار الخلود»(١) وقد اراد «ايفانوف» انكاره واخفاء اسمه من سجل الأئمة مع ان المؤرخين والمستشرقين الذين كتبوا عنه امثال: غويار، وماسينيون، وباريس، ولويس وساسي وغيرهم لم يتعرضوا لهذه الناحية الهامة واعني بها مركزه الديني بالنظر لخطورتها واقتصار معرفتها على اهل الدعوة انفسهم بل على الخاصة منهم، وقد تجاهل ايضاً الدور الهام الذي لعبه في عهد الصليبيين وكيف اضطر نور الدين الشهيد «الزنكي» ملك دمشق آنئذ لمجاملته والاعتراف به والانحناء امام عظمته، وصلاح الدين الايوبي للرجوع عن عاصمة ملكه «مصياف» ومصالحته مع شدة نفوذ

---

(١) مخطوط اسماعيلي بمكتبتي الخاصة سيصدر قريبا.

سلطانه ، وبعد ان عرف بانه لا يخضع قسراً لسلطان ، وما اداه للاسماعيلية خاصة وللوطن السوري العربي عامة من خدمات جلى برزت ساطعة في حروبه مع الصليبيين وقد خلدها له التاريخ على صفحاته باحرف من نور وهي اقل ما يقال عنها بانها جعلت من الطائفة الاسماعيلية امة عزيزة الجانب موفورة الكرامة تعيش بامان واطمئنان وراء ستار حديدي لا يمكن لاصحاب المطامع من الفاتحين والمغتصبين الدنو منه او محاولة اختراقه ، هذا البطل الكبير هو « سنان راشد الدين » او « شيخ الجبل » او « عميد الفدائية » او « امير القلاع » او اكبر عقلية حربية في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي او منتصف القرن الخامس هجري.

وصف تاريخ حياته الاستاذ « ايفانوف » فقال : اسمه الكامل « ابو الحسن سنان بن سليمان بن محمد » ولد بالقرب من البصرة وتثقف في فارس ثم ارسل من قبل « الامام حسن » صاحب « ألموت » ليكون رئيساً اعلى على الاسماعيلين السوريين وذلك في عام ٥٥٨ هـ الموافق سنة ١١٦٢ م واضاف قائلا بانه كان يحمل مرتبة « حجة الامام » وهي رتبة على جانب عظيم من الخطورة ؟ ولست ادري ما هو الدليل على صحة هذه المزاعم ومن اي المصادر استقى « الاستاذ ايفانوف » هذه المعلومات السطحية البعيدة عن الواقع التي ان دلت على شيء فتدل على تسرع بالحكم على القضايا التاريخية وقد كان من الواجب على الاستاذ « ايفانوف » ان يتريث باعطاء آرائه ونظرياته حتى تنجلي له الحقيقة واضحة خالية من الادران والشوائب ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان عليه ايضاً ان يذكر لنا شيئاً عن اسرة سنان ولمحة عن طفولته وكلمة عن ابويه وعملهما ومركزهما ونسبهما وعن كيفية اتصاله بالامام « حسن » صاحب « ألموت » ؟ ولكنه اهمل ذلك وأخال ان اهماله لم يكن مقصوداً بل عن تقصير في تحري الحقيقة لان المصادر نادرة وبعيدة عن متناول يديه كما ذكرنا ، هذا فضلا عن ان سنان يعتبر من الائمة الذين قطنوا سوريا وجعلوا من « مصياف » داراً لهجرتهم فصار من حق الاسماعيليين السوريين وحدهم خوض هذا المضمار وأزالة كل فوضى وبلبلة تساور تاريخ حياته . ونعود للموضوع لنقول : بان سنان كان يسمى « ابا الحسن محمد بن الحسن النزاري » او « راشد الدين » او « سنان » او « رأس الامور » او « الكيا محمد » وهو نجل الامام حسن النزاري الالموتي صاحب قلاع « طالقان » بفارس وابو الحسن على حد قوله « تسلمت من حسن وسلمت الى حسن(٢) » والمقصود بهذا التسليم شؤون الامامة ، واما ما جاء بقول الاستاذ « ايفانوف » بانه كان يحمل رتبة « حجة الامام » فهذه حقيقة لا غبار عليها وامر كان يجب ان لا يذهل مستشرقنا الكبير عن تتبع مراحله لا سيما وهو من الاخصائيين بدراسة العقائد الباطنية وتاريخ الدعوة الاسماعيلية . اجل كان سنان يحمل رتبة حجة الامام عند قدومه الى سوريا مرسلا من قبل الامام حسن وهي الوظيفة التي لا يمكن للامام ان يصل الى سدة الامامة الا بعد اجتيازها.اي انها مقصورة على ولي العهد وقد ايد ذلك داعي الامام الفاطمي الحاكم بامر الله احمد حميد الدين الكرماني المعروف بحجة العراقيين بكتابه « راحة العقل » الذي حققه استاذ الادب الفاطمي بجامعة فؤاد الاول المصرية الدكتور محمد كامل حسين ، هذا ولقد ايد سنان هذه النظرية باحدى خطبه المشهورة المذاعة على اتباعه الاسماعيليين في « مصياف » يوم كان ولياً للعهد والتي يقول فيها: [لا تخرجوا عن امر ولي عهدكم من عربها وعجمها وتركها ورومها ... الخ ... (٣)] وفي هذه الكلمات دليل قاطع على ان سنان كان يحمل رتبة ولاية عهد الامامة عندما كان في سوريا وبعد ان استقر في مصياف بمدة وجيزة انتقل والده الامام حسن الى دار البقاء فاصبح بعد ذلك وبحكم القواعد المتبعة والنص الحقيقي صاحب مرتبة الامامة وحامل لواءها بدليل قوله : [فانا المدبر ولي الامر والارادة فمن عرفني باطناً فقد تمسك بالحق ..عبدي اطعني اجعلك مثلي حياً لا تموت وغنياً لا تفتقر وعزيزاً لا تذل.. اسمعوا تنتفعوا انا الحاضر الذي لا اغيب ...] فهذه الاقوال قد وضعت موضع المناقشة مرات عديدة وخرج علماء الاسماعيلية بنتيجة عنها وفيها بيان صريح عن ان هذه التصاريح لا يمكن ان تصدر من حجة امام او داعي اقليم . وعلى ما اظن ان الاستاذ « ايفانوف » يقرني على صحة هذه النظرية ويتخذها موضع الاعتبار ، اما اعتماد الاستاذ « ايفانوف » على شجرة الامامة التي تقرها الفرقة الاسماعيلية « الآغاخانية » والتي جاءت خالية من اسم « سنان راشد الدين » ، فهذه الشجرة لا يمكن ان تنير الحقيقة وليست برهاناً اكيداً لانها احتوت على الالقاب دون الاسماء الحقيقية كما وان الفرقة الاسماعيلية « المؤمنية » التي تجعل تسلسل الامامة من « مؤمن شاه » النجل الثاني للامام « شمس

---

(٢) من كتاب « الميثاق » مخطوط اسماعيلي بمكتبتي الخاصة
(٣) من كتاب «الفصول» » » » »

الدين محمد تبريزي » المعروف بـ « آق شمس » وليس من اخيه « قاسم شاه » جد « آغاخان الحالي » لا تقرها بل تتمسك فضلا عن ذلك بعدد من الآراء والنظريات التي تؤيد حجتها وتثبت مزاعمها ومنها : ان الشجرة الملمح اليها جعلت عدد الائمة اربعة بعد الامام نزار وهم : هادي : مهدي : قاهر : حسن ، وهنا تبرز مغالطات تاريخية لا يمكن ان نمر بها مرور الكرام فمن الجلي الواضح ان الامام نزار استلم شؤون الامامة بعد انتقال والده الامام المستنصر بالله سنة ٤٨١ هـ وظل يتوارثها ولده الاربعة حتى انتهت الى الامام حسن سنة ٥٥٨ هـ وهو الذي ذكره « ايفانوف » بانه ارسل سنان الى مصياف ، اذن فالمدة التي ظل فيها هؤلاء الاربعة الائمة على قيد الحياة هي ستة وسبعون عاماً موزعة عليهم بتسعة عشر عاماً لكل منهم وهذا من اغرب الغرائب . يأتي بعد ذلك دليل آخر قاطع وهو ان الداعي الاجل شهاب الدين ابا فراس ويعتبر من اصدق المصادر قد ذكر بقصيدة « شجرة الأئمة » المشهورة تسلسل الائمة فجاء اسم « محمد الكيا » او سنان كما ذكرنا وإليك الابيات :

يتلوه احمد مظهرا مستنصرا بالله ثم نزار وهو الآمر
والمرتضى حسن الامام القائم الموجود في (الألموت) وهو الظاهر
ومحمد فهو « الكيا » خضعت له في المشكلات اوائل وأواخر
وحسن جلال الدين بعد محمد رفعت له فوق السماء منابر (٤)

هذه بعض الادلة التاريخية القاطعة اثبتناها على صفحات مجلة الاديب الزاهرة ولعلها تكون كافية لجلاء هذه النقطة الحساسة الغامضة من تاريخ الاسماعيليين وشيخ جبلهم سنان راشد الدين ويقيني بان كافة الذين يعنون بدراسة الاسماعيليات سيقتنعون بصحتها ويضعونها موضع الاعتبار ، وبالاخص الاستاذ « ايفانوف » الذي سبق له ان اطلع على مجالس عديدة في الكتب الاسماعيلية المخطوطة جاءت تحت عنوان « فصل من اللفظ الشريف » للمولى « راشد الدين » وجميعها تعطي الدليل القاطع على ان سنان كان اماماً وليس حجة وان ترتيبه يأتي بالدرجة السابعة السابقة بعد جده الامام « المعز لدين الله » الفاطمي فاتح مصر وباني مدينة « القاهرة » ، ومن مراجعة كتابه لصلاح الدين الايوبي الذي جاء فيه :

[فألبس للرزايا أثواباً ، وتجلبب للبلايا صلباً ، فلأرسلنهم فيك منك ، ولآخذنهم بهم عنك ، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه او كالخادع انفه بمارن كفه ، وستعلم نبأه بعد حين] .

واقوال شاعره « الامير مزيد الحلي » الاسدي فيه : (٥)

فدونكها من ابن مزيد مدحة ... يطيب لها عند النشيد قصيده
اليك امير المؤمنين توجهت ... ركائب عبد لا تخيب جهوده
امام وجدنا حبه خير ملجأ ... فليس سوى الله العلي يسوده
ونلنا المنى لما قصدنا بوردنا ... امام زمان اسعدتنا سعوده

ومن قصيدة ثانية

وكنا بجدران الرصافة (٦) صحبة ... فلاحت لنا الأنوار والسر ناداناا
ايا راشد الدين المعظم شأنه ... اتيناك زوارا فاقبل لمسعانا
لقد خاب من عاداك يا مولى الورى ... وافلح من والاك سرا واعلانا

ومن اقواله هو مخاطباً اتباعه :

« ايها الرفقاء غبنا عنكم غيبتين غيبة تمكين وغيبة تكوين واحتجبنا عن ارض معرفتكم فضجت الارض وتقلقلت السموات وقالت يا باري البرايا الغفور فظهرت بعهد « آدم » وكانت حجة الدعوة « حواء » ... الخ ..

يتبين ان سنانا كان اماماً وليس حجة . ظلت هنالك ناحية هامة لم اشر اليها وهي تلقي ضوءاً ساطعاً على ما جئت به الا وهو وجود منشور جاء بكتاب الميثاق المخطوط الذي اشرت اليه وهو مرسل من قبل نجل سنان الامام حسن الى اسماعيلية جبال السماق وهذه مقتطفات منه :

[اعلموا ايها الاخوان الكرام واهل دار السلام انه يجب عليكم ان تخلصوا الينا بقلوبكم وترحلوا الينا بنفوسكم فان عهدنا واصلا اليكم فتلقوه بقلوب صادقة ونفوس طائعة غير آبقة وقد ارسلنا اليكم باباً من ابوابنا وداعي من دعاتنا مع هذا العهد يتليه ويوضحه ولا يخفيه اني انا المولى حسن حجة الله على خلقه ، وقد عهدنا الى الداعي « شمس الدين بن علي » لكي يوضح الحق حتى ينجلي ان حسن بن محمد الكيا بن حسن بن نزار مكور الليل على النهار فمهما امركم داعينا فامتثلوه وما نهى عنه فانتهوا عنه وأجيبوه واطيعوه وكونوا ابناء الحقيقة وخلان الطريقة فقد نزلت عليكم رحمتنا وشملتكم عنايتنا وارتضيتكم من بين خليقتنا وجعلتكم ابناء دعوتنا فطاعتنا عليكم فرض ونجاتكم ليوم الفصل والعرض ... الخ ..] ومنه :

[واجتنبوا المناهي والمحرمات وسائر الاخلاق الذميمة من

---

(٤) قصيدة لأبي فراس جاءت بكتاب « الفصول » المخطوط الاسماعيلي الموجود بمكتبتي الخاصة .

(٥) شاعر اسماعيلي معاصر لسنان له ديوان مخطوط سيصدر قريبا .
(٦) من قلاع الاسماعيليين في جبال العلويين بالقرب من مصياف

تمثيلية ذات فصل واحد

شاعران في خمارة

بقلم أحمد سويد
من اسرة الجبل الملهم

***

« يرفع الستار ويبدو في زاوية من زوايا الخمارة ، شاب يحسو كأسه بنهم ، يطرق الباب ، ويدخل فارس أسود اللون عظيم الجثة .

الخمار : اهلا وسهلا يا سيدي ، على الرحب والسعة .

(يقوده الى كرسي بجانب الشاب)

الشاب : سعد يومك أيها السيد الكريم .

الفارس : طاب شرابك ايها الفتى .

الشاب : كأني بك لم تعرفني

الفارس : عجباً .. أنى لي ان اعرفك ، وانا لم ارك قبل الآن ؟

الشاب : (بكبرياء) انا القائل :

«ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود»

الفارس : ما هذا الهذيان : ان طرفة بن العبد قضى نحبه منذ ..؟

(يتوقف كمن يتجمع ذاكرته) منذ نصف قرن تقريباً ؟

طرفة : ولكن لا تنس يا سيدي ان الشعراء ينزلقون من ميزاب العدم ، ينفلتون من قيود الزمان والمكان ، ليستأنفوا حياة اخرى يعرفون بدايتها ، ولكنهم لا يعرفون لها نهاية ، لانها فوق الزمان والمكان ... اعني انهم خالدون ...

الفارس : (وقد بدا عليه كانه اقتنع) اذاً أنت شاعر اللذة والالم والحرمان ؟

طرفة : اجل ، انا القائل :

الى الله اشكو ان في النفس حاجة تمر بها الأيام وهي كما هيا

صفحاً ... لقد نسيت ان اسألك اسمك الكريم !

الفارس : الا تعرف عنترة شاعر عبس وفارسها ؟

طرفة : لم اسمع بهذا الاسم قط ، ثم بربك كيف تريدني ان اعرف شخصاً لم أره قبل الآن ؟

عنترة : اما زعمت ان ...

طرفة (مقاطعا) : عفوك ـ يا عنترة ـ اف لنا ، ابناء الخلود ، ما اسرع ما ننسى كل ما يتعلق بابناء التراب .. لقد تذكرت . ألست صاحب « هل غادر الشعراء من متردم » ؟ بلى ، بلى .. البارحة سمعت رهطاً من اهل « عبقر » ينشدون هذه القصيدة ، فسألتهم عن قائلها فسموك ، وافاضوا في وصف ملامحك (يتفرس في وجه عنترة) اجل كل ما قالوه حق وصدق .

« يطوف بها الساقي فيملأ لطرفة كاسه ، ويميل بابريقه الى قدح امام عنترة فيحدجه هذا بنظرة تجفله ويصيح به »

عنترة : اسقنيها يا هذا .

« بزجاجة صفراء ذات اسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدم »

الساقي : (وهو يعدو) سيدي اغفر لي بلاهتي .. ها انذا اسرع لآتيك بغيتك .

طرفة : (مقهقها) سيان عندي احسوتها من كأس مهشمة محطمة عاصرت نوحاً ونجت في سفينته ، او رشفتها من شفتي قدح صيغ من ذهب ، او قد من فضة ، فطمعي من لمى العنقود سكرة ، ومأربي من دم الكرمة نشوة ، ومطلبي من الاقداح نكهة تعقبني غفوة صحوها بعيد ، ثم اذا صحوت منها فاليها العودة واليها المآب .

هيه يا عنترة : ليست اللذة في مظهر الكأس ، ولكنها فيما حوت من سائل ، تفرغه جوفك ، فيندفع سيله ليجرف زمراً من الآلام ضاق بها صدرك ، ويتبارى حبابه ليبدد غصصاً شرقت بها لهاتك ، وظلالا من الكآبة الخرساء ، تموت في ظلماتها رغبات نفسك .

عنترة : تالله ، ما كنت احسب انك تنزل الخمرة من نفسك هذه المنزلة ، بل حسبتك تأنف من ان يتعتعك شيطانها ، ويأخذ بتلابيبك خناسها ... حسبتك كعنترة لا تحسوها الا لتستعين بها على ضجرك ، ولا تفزع الى معاقرتها الا لتملأ بعض الفراغ من وقتك ، ولا ترى فيها اذا احتوتها الاكواب المترفة سوى

الكبر والبغض والبخل والكذب والنميمة واكل الحرام من الخمر والربا ، وعجلوا باصلاح حمام « الكهف »(٧) فهي لمولاكم واستعجلوا في ارجاع القصاد الينا ، واعرضوا مشكلاتكم في الدين علينا والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى والحمد لله رب العالمين]

هذه نواح هامة من التاريخ الاسماعيلي اثبتناها على صفحات الاديب وغايتنا منها جلاء الحقيقة التاريخية التي نهدف اليها والله من وراء القصد .

سلمية ـ سوريا　　　　عارف تامر

(٧) من قلاع الاسماعيليين في جبال العلويين بالقرب من القدموس

مظهر من مظاهر النعمة السابغة والرفاه المحبب .

طرفة : « يردد ساخراً » حسبتك تأنف من ان يتعتعك شيطانها... هيه... لشد ما تمنيت يا صاحبي ان تكشف لك الخمرة عن سرها ، .. اذاً لصرفت عني سهام لومك إذ تسمع قولي :

«فما زال تشرابي الخمور ولذتي   وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى ان تحامتني العشيرة كلها   وافردت افراد البعير المعبد »

عنترة « منفعلا » : وهل سرها ايها الابله سوى هذيان وعربدة ، وجنون يبكي ويضحك ؟؟

طرفة : وهو يرشف : ... وتلك الغيبوبة أنسيتها ؟ آه ... اني لأشعر إذ تخدر الخمرة حواسي المدركة باجنحة تصطفق حولي وفي اصطفاقها همس نعيم من احلام ودنيا من مباهج ، وسرعان ما تتعلق نفسي المكدودة بهذه الاجنحة الضافية ، لتحملها الى آفاق بعيدة غريبة ، لا يفح منها نتن التراب ، ولا ترقى اليها اطماع الناس .

طوبى يا صاحبي لمن يعيشون في غيبوبة دائمة تدوس اقدامهم العارية اكوام الشوك فلا يشعرون ، طوبى لمن كانت يقظتهم حلماً ابدياً ، وحياتهم غفوة هانئة على اكف السراب .

عنترة : لشدما يستهويك في الحياة سرابها الخادع مهلا أبحث لنفسك ان تهتك سر السراب ؟

طرفة : لا ، لا .. حقيقة الحياة تخيفني ، وفي لجتها يتلاشى الالم ، وانا استمرىء نكهته .. لانها تشعرني بطعم اللذة .

حري بالانسان يا صاحبي ، هذا الطائر العابر ، الا يكبت نزوات نفسه وخليق به ، وهو فريسة الموت ، الا يقعده لوم اللائمين عن اقتناص اللذة ، فهي عابرة مثله ... ان احتال لها ظفر منها بنشوتها الخالدة ، وان تنكب عنها ، تنكبت عنه ، وخلفت له الحرمان يعتصر قلبه ، والحسرة تتأكل صدره .

المشهد الثاني

« يفجر ستار جانبي عن فرجة ينساب منها فتيان تبدو عليهم مخايل النعمة ، ويظهر من حركات طرفة أنهم نداماه ، يجلسون بعد التحية ، يتنحنح طرفة فتقبل جارية ذات جمال وفتنة ، وينحني ليهمس في اذن عنترة الذي نأى عن هذه الحلقة »

طرفة :

« نداماي بيض كالنجوم وقينة   تروح الينا بين برد ومجسد »

أرأيت ؟ ان اغلى متع الحياة عندي هذه المتعة . « ملتفتا الى الجارية ويده تدني الكأس من شفتيه » . الآن اسمعينا يا رباب « يكرع ويكرع نداماه ايضا ، يسمع عزف أوتار »

الجارية : « تنشد »

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن   مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا بخميلة   تناول اطراف البرير وترتدي
وتبسم عن ألمي كأن منورا   تخلل حر الرمل دعص له ند
سقته إياة الشمس الا لثاته   أسف ولم تكدم عليه بأثمد
ووجه كأن الشمس ألقت رداءها   عليه نقي اللون لم يتخدد

طرفة : كفى ، كفى... لقد ايقظت ذكرى كانت غافية في صدري وبددت غبار الايام عن صورة دفنتها في اعماقي ، واني لاشعر الآن بموجة من الحنين تلامس اضلعي ، وثبت بي الى عهد مضى لا أستطيع له رداً ، ولا اجد الى بعثه من سبيل.

« يدخل في غيبوبة »

احد الندامى : ايؤلمك ان تتذكر « خولة » ؟

آخر : اتحبها الى هذا الحد ؟

آخر : اما استطاع غيرها ان يرأب الصدع ويملأ من نفسك زاويتها المقفرة ؟

آخر : ارفقوا به ، لا تبعثوا ماضيه من مثواه .

آخر : ارحموه ، لا تنبشوا دفائن امسه .

« يفيق طرفة ، تقترب الجارية منه ، وتغني »

الجارية :

«ألا أيهاذا اللائمي أشهد الوغى   وان احضر اللذات هل أنت مخلدي»
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي   فدعني ابادرها بما ملكت يدي
فلولا ثلاث هن من لذة الفتى   وعيشك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة   كميت ، متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنبا   كسيد الغضا ، نبهته ، المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب   ببهكنة تحت الخباء المعمد »

الجارية : « تميل الى طرفة باسمة » لعل هذا يعجبك يا سيدي ؟

طرفة : آه ، أجدت يا رباب ، واحسنت الاختيار ... ما هذه الابيات الا قطعة سلختها من نفسي ، لتكون عنها صورة ، واقتطعتها من ذاتي لتكون خلاصة مذهبي ، وزبدة آرائي في الحياة ...

المشهد الثالث

« يتفرق الندمان ، وتنصرف الجارية ، ويقبل طرفة على عنترة يسأله » :

طرفة : لِمَ انتبذت يا سيدي ناحية قصية ، انكمشت فيها على نفسك ، وآثرت الا تشاركنا مرح هذه الامسية ؟ الا يروقك هذا المذهب الطريف ، ابشر به وادعو اليه فتيان الجزيرة ؟؟

عنترة : من المؤسف ان تتخذ من اللذة الجامحة ، يولدها فيك ألم ممض وحرمان اهوج ، عكازاً لفلسفتك ، وقاعدة لمذهبك ، ويؤلمني ان اصارحك ان فلسفة تتوكأ على مثل هذا

العكاز الواهي، لهي فلسفة طفلة لا تزال تحبو وتدب على اربع… وان مذهباً يقوم على قاعدة لا يدعمها سوى هوس الشباب وطيش الفتوة، لهو في رأيي مذهب هدام لا اثر فيه للتعقل المدرك لانه ابن العاطفة، والعاطفة يا صاحبي لا تعترف بسلطان العقل ولا ترضخ لسلطته ونفوذه.

اما ان يعتنق شباب الجزيرة مذهبك ويقيموا شعائره، فتلك اخيلة شاعر واضغاث حالم؟ اتظنهم يا هذا، يتملصون من قيود التقاليد، ويخرجون على احكام العقل ليدخلوا في «دينك الجديد» افواجاً؟؟ وليأتوك زمراً من كل فج، يبايعونك على ان يسكروا ويعربدوا، وينصبوا للعذارى والمحصنات شباكهم، ويبثوا في كل مكان شراكهم؟؟

او تظنهم، تجفو جنوبهم متون الجياد وحمائل الاسنة، ليغرقوا في لجج اللامبالاة، وليذيبوا ايامهم في جوف دن او قمر طاس؟ او تحسبنهم يتنكبون الطريق السوي لتقتسم سنيهم خلاعة مستهجنة ومجون ارعن؟؟…

طرفة: «مقاطعا» على رسلك يا عنترة، لا ترسل القول على عواهنه، ولا تصدر احكامك خرقاء فجة… الم ترانني اشترطت لاكتمال «لذائذ الفتى» ان يشهد الوغى وان يجعل من الدماء خمرة لحسامه، كما اتخذ من لعاب الكرمة خمرة لحواسه؟؟

عنترة: انت في قولك:

«وكري اذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا، نبهته، المتورد»

تموه لاعين الناس مذهبك، وتلبسه قبعة «الاستخفاء» لتستر سوآته، وكاني بك وقد احرجك لوم المتألبين عليك ليخرجوك من دائرة شذوذك، تلجأ الى هذا البيت فتحشره في مبادئك حشراً، لتوهم الناس انك إنما تدعو الى ما تعودت تقاليدهم ان تعتبره فضيلة وتحسبه فخراً، ولكنك يا صاحبي لن تستطيع مغالطة الناس، ولا تستطيع ان تخدع الاجيال من بعدك، لان اللذة المتطرفة الجامحة لا تتجسد إلا في «الأنا» و«الانا» لا تصلح قاعدة لمذهب اجتماعي لانه يفترض في المذهب الاجتماعي ان يصلح خللا، ويحارب فساداً، وان يوجه الانسانية الى غاية تذوب في حدودها «الانا» المحدودة بينما نلاحظ ان المرء يزداد استكانة لعبودية «أناه» كلما اسرف في لذاته، وتطرف في مشتهياته وكلما قاده غيه ووجهه هواه.

طرفة: كاني بك لم تفهم طرفة بعد…

عنترة: بلى، لقد فهمته.. إنه فتى صرع هواه عقله… وهذت عاطفته الظافرة فصاغ هذيانها المحموم شعراً.. إنه فتى استخفه نزق الشباب، فسلط عليه شيطان الغواية يجره الى المجون، إنه فتى أدمت انامله اشواك الحرمان، واعتصرت مآقيه اكف الالم، ففزع الى الخمرة يتحدى بها آلامه، ويفتش في ثمالات كؤوسها عن السلوى، إنه…

طرفة: (مقاطعا)

«كريم يروي نفسه في حياته مخافة شرب في المات مصرد
فذرني أروي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً أينا الصدي»

عنترة: ضل من كانت اللذة الآثمة غايته في الحياة.

طرفة: ناشدتك الله يا صاحبي، اصدقني اما اسلست قيادك لنزوات الشباب يوماً؟ أما جمحت نفسك مرة فجرتك الى نعيم تراه، اذا اقصيت عنه، بؤرة من بؤر الشيطان؟؟

عنترة: صه ايها الخليع، لست مثلك نديم كاس وزير نساء، لا يقتنصه صائده إلا في لجج الملاهي وزوايا الحوانيت:

«اني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا اتبع النفس اللجوج هواها
اغشى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا أغشاها
واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها»

طرفة: (ساخرا) هذر وضعف مخجل، لعل عنترة الفارس لا يحسن بث الشباك واجتذاب الطرائد؟.

عنترة: (حانقا).. بل ان عنترة الفارس يأنف ان تتحاماه العشيرة فيفرد افراد البعير الاجرب بعد ان يطلى جلده بقار الرذيلة.

طرفة: بل لعله تطاول ليقطف الثمرة فاخفق. فراح يذيع في الناس انها مرة؟!

عنترة: بل انه ترفع كيلا يصمه الناس بفسق طرفة!

طرفة: من يدري… لعله اراد ان يلج الجنة، فاوصد خزنتها في وجهه الابواب فارتد مدحوراً مطروداً.؟

عنترة: (بغضب) الا تخرس ايها الماجن؟

«يمر بهما الخمار»

الخمار: مهلا ايها السيدان رويدكما…

عنترة: لا استطيع ان اتحمل وقاحته.

طرفة: (متعملا الابتسام) ايضيق صدرك بهنيهة هازلة ومزاح بريء؟ الست القائل:

أنني علي بما علمت فانني سمح مخالقتي … » «يسكت»

عنترة: اكمل، لمَ بترت للبيت ساقه؟

طرفة: انا؟ اقسم لك انه انتهى الي على هذه الصورة.

عنترة: «يحاول الا يبتسم» بتر الله لسانك، هل قلت الشعر

لتمسخه انت اعرج يدب على واحدة ؟

طرفة : ألم اقسم لك ان الذنب ليس ذنبي ..؟ ثم بامكانك وانت خالقه ، ان تهبه ساقاً ؟!

عنترة : (يردد)

« أثني علي بما علمت فانني   سمح مخالقتي اذا لم أظلم »

طرفة : بربك اما بدّلت خلقة ؟

عنترة : « باسما » بدل الله خلقك وخلقك .

طرفة : « كانه لم يسمع » ذلك ما ظننته، ومع ذلك هل ظلمتك؟

عنترة : اتبغي ظلماً اقبح من التحدي والسخرية ؟

طرفة : او تعدّن هذيان مخمور ، وعربدة سكران تحدياً وسخرية ؟ هبني يا سيدي أسأت اليك من حيث لا اقصد ومن حيث لا ادري ، فهل لك بكأس تنسينا ما كان وجرعة نفتتح باسمها عهد ولاء وصداقة ؟

« ملتفتا الى الخمار » اسرع أيها العجوز . هاتها معتقة لم تظفر بمثلها شفة ولم يتذوق نظيرها لسان .

الخمار : « يتمتم وهو يعدو » بحقك ايها الشيطان لا تدع السيدين يفترقان ، بل وسوس لهما ان ينسيا خلافهما في قعر كأس ...

المشهد الرابع

« يقبل الخمار حاملا أجود ما عنده من الخمر ، يحدق طرفة في الكأس بعينين تلمع فيهما الشهوة ثم يلتفت الى عنترة قائلا :

طرفة : باللات والعزى ، اصدقني يا عنترة ماذا توحي لك الخمرة.

عنترة : أآلهة هي فتوحي ؟ لعلك تقصد أثرها في نفسي

طرفة : نعم هو ذاك .

عنترة :

« فاذا شربت فانني مستهلك   مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى   . . . . .

طرفة : الا تشعر انك بحاجة لان تشرب وتشرب كيلا ترتوي؟

عنترة : « يطرق ولا يجيب »...

طرفة : لعلك الآن مثلي تبتهل الى الله ليجعل حياتك كلها نشوة خالدة .

عنترة : « صامت لا ينبس » ...

طرفة : « وهو يرشف » : اشرب يا صاحبي فالحياة مزيج غريب من الالم واللذة ، وطوبى لمن استطاع ان يحارب الحياة بسلاحها فيجتذب اليه لذائذها الزائلة ليتقي بها صفع آلامها الداهمة !!

عنترة : لن اشرب .

طرفة : « محدقا الى الكاس » في كل ذرة من حبابها غمرة من مرح ... ولكن آه ، أين رباب ؟ اين الندامى ؟ « ملتفتا الى عنترة » طال صمتك يا عنترة ، لعلك تحس في اغوار نفسك ألماً .. فان يكن ذلك ، فاجرع الدواء لتشفى « مشيراً باصبعه الى الكأس »

عنترة : « لا يجيب »

طرفة : أيائس انت؟ ان كنته يا صاحبي، فهاك اجنحة مسحورة تقلك الى دنيا من امل زاه لا يعرف اليأس والى نعيم من رجاء لا ...

عنترة : « مقاطعا » كفى ، كفى ، لن تجديك اساليبك البارعة في الاغراء ، لن اشربها ... لن اشربها ابداً

« ينتفض وينتصب ليترك المكان »

طرفة : الى اين ؟

عنترة : لن استطيع معك صبراً ايها الفتى ، لن استطيع .

طرفة : « ممسكا به » ولكن ...

عنترة : دعني .. لن امكث معك ، لن امكث ، مستحيل ان تجمعنا بعد الآن اكناف خمارة .

طرفة : ماذا يريبك في يا عنترة ..؟ اجبني . امازح انت ؟ أبك مس من جنون او لوثة من خبل ؟

عنترة : دعني انطلق ايها الغوي ، دعني ، والا حطمت كأسي وكأسك « يشهر سيفه » وداويت بهذا الحسام صداعاً يشكوه رأسك .

طرفة : « وقد اصفر لونه ، وانقبضت اساريره وتلجلج لسانه » اتود ان تتصرف ؟ حـ حـ حسناً رافقتك السلامة يا سيد الفوارس .

عنترة . وانت فليلازمك الشيطان ايها الخليع ... « بعد ان يخرج من الخمارة » وددت الا يرعو هذا الماجن اذاً .. لسحقت في هذا المساء رأس جندي من جنود الشيطان ، وافعى من بنات الغواية ... آه لقد نجا المنحوس !

طرفة : « يعود اليه لونه اذ يخرج عنترة فيرتمي على الكرسي مقهقها » ... الى الشيطان يا ابن السوداء ... الى حيث لا رجعة يا عبد شداد

الخمار : « عاضا شفته من الغيظ » : تعساً لك ايها الشيطان كم انت ضعيف واحمق ؟ الم اتوسل اليك الا تدع السيدين يفترقان ؟؟

أحمد سويد

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

الباب الخامس : المقامات الدينية

الفصل الثاني : الحج الجاهلي ـ الأسواق ـ الوقوف ـ الذبح
تقصير الشعور ـ العمرة والسعي ـ الطواف والتلبية ـ النسيء والحمس

الحج الجاهلي

والحج اروع ظاهرة* في شعائرهم الدينية القديمة. وهي في اللغة كلمة جد قديمة ، ومن الممكن ان يكون العمل بمعناها قد جاراها في القدم . ولو خوّلنا ان نأخذ بقول الرواة الذين تحدثوا عن مكة والبيت ، ومجيء ابراهيم ، لكانت عادة الحج قد سبقت تكون اللغة العربية على ما هي معروفة عليه في الجاهلية .

والمسلم به ان الحج عمل ديني قديم دونما ريب . ومن الصعب على الباحث تحقيق الزمان الذي ابتدأ العربي فيه بالحج . والقرآن الكريم يرجعه الى عهد ابراهيم حيث قال له تعالى : « وأذّن في الحج بالناس ياتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ١). ولعل هذا القول مما جعل البعض يظن ان العرب في حجها البيت اقدم امة عرفت عندها عادة الحج قبل سائر الامم ٢).

والحج في اللغة القدوم والقصد مطلقاً . تقول حججت فلانا اذا اتيته مرة بعد مرة ، فقيل حج البيت لانهم يأتونه كل سنة ثم تعورف استعماله في قصد مكة للنسك٣) .

ولا ارى معقولا ان الدافع الوحيد ـ كما يظن ـ لتقاطر الجاهليين من جميع انحاء الجزيرة الى نواحي مكة. ديني محض . بل ارى ان حج البيت ، على ما كان له من المظاهر ، أقل اهمية في الحقيقة ، ان لم يكن ثانوياً بالنسبة الى دافع داخلي رئيسي .. الى دافع تتوقف عليه حياة البدوي ، وغيره ، امتن من الدين واشد من اواصر القربى .. وهو الدافع الاقتصادي . وبكلمة مختصرة : التجارة .

اما ان تفد القبائل الى مكة ، بعد ان يكون بعضها جاب الجزيرة من دومة الجندل .. الى هجر .. الى الشحر .. الى الطائف .. ماراً بالكثير من الاسواق قبل ان يحط رحاله في عكاظ .. فمجنة .. فذي المجاز .. وذلك ليطوفوا ، ويقفوا على عرفة ، ويفيضوا ، ويعتروا ، فسبب لا اراه وجيهاً اذا اتخذ وحده مهما قيل فيه . فلو لم يكن في مراسم الحج اسواق تجارية يتبادلون فيها المصالح وغيرها من مقومات الحياة .. وبالنتيجة يتعارفون ، اذا انتهوا من مهامهم ، ويتناشدون الاشعار ، ويتجاذبون الاحاديث ، وتكون لهم هذه الاسواق اعياداً سنوية ، لاكتفت كل قبيلة بما عندها من اصنام وانصاب، تقدم لها من المناسك ما تقدم في الحج من ذبح ، ووقوف ، وطواف ، ولما تجشمت الحداء من اطراف الجزيرة واواسطها .. ولما كان ـ بالنتيجة ـ لحج البيت عندهم تلك المظاهر الرائعة كلما حلت عليهم الاشهر الحرم .

الاسواق

ويبتدىء الحج بالاسواق ، تلك التي كانت بين الطائف ومكة متجر الناس في الجاهلية ٤) ، حتى قيل لابن الخطاب مرة : « هل كنتم تكرهون التجارة في الحج ؟ فقال : وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج ؟! » ٥) ولما كان المسلمون في اوائل الدعوة يأبون ما للجاهلية من عادات ، وخصوصاً الدينية منها ، لذلك تأثموا البيع والشراء في ايام

---

* راجع عدد نوفمبر ١٩٥٢ من الأدب والأعداد التي قبله
١) القرآن الكريم : س ٢٢ آية ٢٨
٢) راجع ص٦٩٦ ج ٦ ـ دائرة المعارف لبطرس البستاني، بيروت ١٨٧٦
٣) ص ١٦ ـ ١٧ ج ٢ ـ تاج العروس
٤) ص ٢٢٢ ج ٢ ـ صحيح البخاري
٥) ص ٨٤ ج ١ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، بولاق ١٢٨٠

الموسم ، وكرهوا التجارة في الحج ١) وابيحت لهم ، ورفعت عنهم الجناح الآية : « ليس عليكم جنـاح ان تبتغوا فضلا من ربكم » ٢) .

في مكان من عكاظ٣)ـ وعكاظ نخل في واد بين مـكة والطائف ـ مستوى لا علم فيه ولا جبل ، كانت تقوم السوق . وكان في هذا المكان ، الذي عرف بالاثيداء ، مياه ونخل . ولم يخل من انصاب وصخور ملطخة بالدمـاء ، قيل انهم كانوا يحجون اليها ويطوفون حولها . وكانت تحفل عكاظ بالناس في شوال ويتم تقاطرهم اليها في ذي القعدة : الزمن الرسمي للسوق . وفي العشرين من هذا الشهر تذهب جماعاتهم ـ بعد ان يتخلف من لم يكن انهى بيعه وشراءه ـ الى مجنة .

ومجنة موضع قرب جبل يقال له الاصفر باسفل مكة ، تقوم سوقها عشرة ايام ٤) ، الى ان يهل ذو الحجة حيث يسيرون الى ذي المجاز .

وذو المجاز موضع على فرسخ من عرفة تقوم سوقه ثمانية ايام ٥) اي حتى الثامن من ذي الحجة : وهو يوم التروية ، سمي بذلك لانهم كانوا يرتوون من الماء ، ويملأون اوعيتهم لما بعده اذ لا ماء بعرفة . والى هذه السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ، ممن شهد الاسواق قبلها ، او لم يشهدها وأتى للحج خاصة ، اذ ان ذا المجاز من مواسم الحج عندهم ٦)

فعكاظ ومجنة وذو المجاز هي الاسواق التي يتجرون بها في الجاهلية ايام الموسم ؛ والتي كادت ان تكون قسما من اعمال الحج ذاته حتى ان قريشاً وغيرها من العرب كانت تقول ـ على ما روى الازرقي ـ : « لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذا المجاز الا محرمين بالحج » ٧) .ويكفي بالاحرام تعظيماً لها وتقديساً.

الوقوف

من هذه الاسواق كانت العرب ترتحل الى مكة لحجهم٨) ، حيث يبتدىء الحج في التـاسع من ذي الحجة ، اذ يتركون ذا

١) ص٢٢٣ج٢ صحيح البخاري ٢) القرآن الكريم ـ س٢ آية١٩٢
٣) راجع ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، لسعيد الأفغاني ـ دمشق ١٩٢٧
٤) ص ٤٢١ ج ٤ ـ معجم البلدان لياقوت
٥) ص ٤١٦ ج ٤ ـ نفس المصدر
٦) ص ٣٠٠ ـ اسواق العرب في الجاهلية والاسلام للافغاني
٧) ص ٣٢ اخبار مكة للازرقي
٨) ص ٣١٤ ج ١ ـ تاريخ ابن واضح اليعقوبي

المجاز مباشرة الى عرفة . وعلى عرفـة يقضون بالوقوف شعيرة من اهم شعائر الحج الدينية .

ويرى « سمث » ماري « ولهوزن » ان ميزة وقوفهم هذا تشبه منظر اولئك الذين يلتفون حـول المذبح في خشوع والعتائر مسطحة على الارض ، وذلك يكون اما عند انتهـاء الذبح مباشرة او اثناء هذه العملية ، والدماء تسيل في الغبغب او يلطخ بها السادن رأس النصب ١) . ويقارن Houtsma الوقوف بعرفات بوقوف اليهود على جبل سيناء ، حيث كان يتجلى معبودهم بالبرق والرعد ٢) ، وان كنا لا ندري شيئاً عن إله عرفات ، ولربما كان نفسه إله المزدلفة « قزح » ـ إله البرق والعواطف والرعد والغيث ـ الذي عبده الادوميون من قبل ولم يبق من ظواهر عبادته بين الجاهليين الا اشعال نيرانه بمزدلفة .

ولتسمية المكان الذي يقفون عليه « عرفه » وجوه ، منها انه سمي بذلك لقول ابراهيم مخاطباً جبريل ، وهو يدور به في المشاعر يعلمه اياها : قد عرفت . او لان آدم وحواء التقيا بعد الهبوط فتعارفا هناك ، او لان الناس يتعارفون فيه ٣) . ويزيد ياقوت على الزمخشري فيقـول : وسمي بالصبر على ما يكابدون بالوصول اليه . والعرف هو الصبر ، او لان الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف ٤) .

على ان هذا لا يعيقنا عن سير الحجيج ، فالناس بعد ان يقضوا يومهم بعرفات يفيضون الى المزدلفة قبل ان تغرب الشمس عن عيونهم مسرعين جهدهم . وقد دام هذا الاسراع بالنفور الى مزدلفة حتى الاسلام حيث امرهم النبي ان يسيروا ببطء ، يروى عن ابن عباس انه دفع مـع النبي يوم عرفة فسمع النبي وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتـاً للابل ، فاشار بسوطه اليهم وقال : ايها الناس عليكم بالسكينة فان البتر ليس بالايضاع ٥) اي الاسراع .

يصلون المزدلفة ، وهو موضع قريب من عرفة . قيل انه سمي بذلك ـ في بعض الروايات لانهم فيه يزدلفون الى الله اي

١) ص ٣٤٠ W. R. Smith : Religion of the Semites
« الغبغب ـ المنحر ومهراق الدماء : ص ٥٥ السيرة رواية ابن هشام »
« والغبغب ـ حجر ينصب بين يدي الصنم : ص ٧٧٢ ج ٣ ـ معجم البلدان لياقوت » ٢) ص ٢٠٠ ج ٢ Enc. of Islam
٣) ص ٨٤ ج ١ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
٤) ص ٦٤٦ ج ٣ ـ معجم البلدان لياقوت
٥) ص ٢٠١ ج ٢ ـ صحيح البخاري

يتقربون ١) . وفيه يقضون ليلتهم متعبدين بينما تكون نيران « قزح » ملتهبة هناك ، منتظرين شروق « الالهة » .. حيث كانوا لا يفيضون من «جمع» حتى تشرق الشمس على «ثبير» ٢) ويقولون : « اشرق ثبير كيما نغير » ٣) وثبير جبل بمكة ، يقولون له ادخل يا ثبير في الشروق حتى نسرع للنحر ٤) .

ثم طلوع الشمس اذاً كانوا ينفرون الى وادي «منى» حيث يرمون الحجارة في اماكن معينة هناك ٥) . إما رجماً للشيطان — او كما يظن البعض البعض — تغطية لذاك المكان بالحصبا خوفا من زرع المسكين له٦) . ويظهر ان اول ما يصلون منى يباشرون في الذبح ، فقيل ان منى سمي بذلك لما يمنى به من الدماء التي تراق فيه ٧) . ولما كان الذبح من اهم واقدم الشعائر التي كانوا يتقربون بها الى آلهتهم ، لذلك نرى من الفائدة ان نسهب شيئاً في الكلام عن هذه العادة .

الذبح

وهي عادة لم تخلق اعتباطاً بين الجاهليين ، بل يجب ان يكون للذبح عند الساميين ، والعرب خاصة ، فلسفة غير مجرد هذا العمل الوحشي ، ولا نشك في ان الاطعام سبب من اسبابها المباشرة . اما ان يقدموا على سفك دم الحيوان المسكين ، تاركين قسماً كبيراً من ضحاياه للوحش والطير والجوارح ، ويكون السبب وحشياً محضاً ، فلا ارضاء لهؤلاء الاقوام ، مهما كانوا عليه من البداوة والفطرة . وهم ان قدموا القرابين لآلهتهم فلا يكون ذلك ضريبة جبرية ، وانما حباً باشراكهم لهم واتحادهم معهم ، ولذا رووا ان الجاهليين كانوا يعينون شيئاً من حرث ونتاج لله يصرفونه للضيفان والمساكين ، « وكثيراً ما حسب هؤلاء ، وغيرهم ، حتى بعض الحيوانات ضيوفاً على الآلهة » وشيئاً منها لآلهتهم ينفقونه على سدنتها ٨) . وبهذا نزلت الآية : «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا » ٩) .

وكانوا يرون في التضحية عاملين رئيسيين : الاول انتقال دم الضحية الحار الى المعبود الذي يكتفي به ، ولهذا نراهم يصبون الدماء على رؤوس الانصاب والاصنام تسكيناً لغضب الاله وطلباً لرضائه . والثاني انحلال لحمها ودمها في لحوم العباد ودمائها .. ولربما كان اقدم وصف لعملية الذبح ما جاء به نيلوس سنة ٤١٠ للميلاد . وقد عرّب الاب شيخو ما وصف هذا الكاتب مما كان دارجاً عند عرب الشمال — وخصوصاً عرب بطرا ودومة الجندل — في مثل هذه المناسك نثبته فيما يلي :

« وليس لهؤلاء الهمج دين الا انهم يكرمون كوكب الصبح « العزى » ويخرون له ساجدين ، ويضحون له اجود اسراهم الذين اخذوهم في الغزوات ، وهم يفضلون لذلك الشبان اذا كانوا في عز الشباب ، وصبيحي الوجوه . ويعدون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكومونها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحية بالسيوف ويشربون دمها . وعادتهم اذا لم يقع في يديهم احد من الاسرى ان يضحوا ناقة من العيس خالصة البياض ، فينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً ، ثم يتقدم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق ، وهم يتغنون باغانيهم ، فيضرب بسيف اوداج الناقة ، ويتلقى دمها فيشرب به ثم يركض الباقون ، ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس » ١٠) .

فاذا صدق نيلوس ، كان هذا الذبح العربي القديم من اخشن اعمال الانسان في تقديم القربان ، وتكون بذلك الآلهة القديمة اخشن قلوباً من عبادها لتطلبها غير النذور من الحيوان مرضاة لها ، فتقدموا لها بالانسان نفسه .

وكنا اشرنا الى قتل المنذر أسيره ابن ملك غسان ، وعدداً كبيراً من رواهب العراق ارضاء لقاسية القلب ، الالهة العزى .

ومن المحتمل ان تكون هذه الهمجية الدينية المتأتية عن الخوف من الآلهة سبباً من الاسباب التي دفعت افراداً من العرب في بعض القبائل الى وأد بناتهم ، فقيل بعد ان طال الزمن وعفا على الاسباب البعيدة للوأد انهم فعلوا ذلك خشية العار والاملاق ، ومن ثم نزلت الآية : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق» ١١).

كما وان قصة اقدام ابراهيم على ذبح احد ابنائه ، لا بد وان

---

١) ص ٨٤ ج ١ — الكشاف ... للزمخشري
٢) وقد خالفهم النبي فأفاض قبل ان تطلع الشمس — ص ٥٣ ج ٥ — صحيح البخاري ٣) ص ٩١٧ ج ١ — معجم البلدان لياقوت
٤) يراجع ص ٣١٠ ج ١ — الأمثال للميداني
٥) اطلب المحصب ، والمجمر في معجم البلدان
٦) ص ٢٠٠ ج ٢ Enc. of Islam
٧) ص ٦٤٢ ج ٤ معجم البلدان لياقوت
٨) ص ٣١٠ ج ١ — انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي
٩) القرآن الكريم : س ٦ آية ١٣٧
١٠) ص ١٦ — النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو اليسوعي ١١) القرآن الكريم : س ١٧ آية ٣٣

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادى :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون	الادارة : ٤٧ - ٩٢ / المنزل : ٣٧ - ٤٨	Tél. Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

سكرتير التحرير : **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

تكون معروفة بينهم ، يلخصها القرآن بما يلي : « رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي ، قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » ١) ... وكذلك نذر عبد المطلب ذبح ولده عبدالله ، وقد مر حديث ذلك .

والظاهر ان مثل هذه النذور العرضية لم تكف لارضاء الآلهة القديمة فقد حدثونا ان في بعض الاماكن من كان يثابر على تقديم الضحية البشرية كل سنة . وممن شهد على ذلك برفيروس الفيلسوف الوثني في القرن الثاني للمسيح قال : « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحون لآلهتهم رجلا ثم يدفنونه بقرب المذبح » ٢) . كما ان البعض في اماكن اخرى كانوا يعلقون الفريسة ما بين السماء والارض امام الصنم ٣) .

هذا ، ولعل اقدم المذابح عند الساميين في الشمال ، وعند العرب انفسهم في بلاد العرب كان ـ كما يرى سمث ـ حجراً ضخماً من الحجارة ، او ركاماً تسفك عليه دماء العتيرة . وهذا السفك البسيط على هذا الركام ، او ذاك الحجر يقدس الذبح ويجعل العتيرة قرباناً شرعياً . وبهذا لا يكون فرق بين المذبح العبراني البسيط وبين النصب او الغري العربي ٤) .

ولقد امتدت عادة الذبح في منى ايام الحج الى ما بعد الاسلام . لذلك نرى في القرآن اشارة الى ما ذكرنا من مشاركة الآلهة عبادها في الفريسة حيث يقول تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ٥) .

تقصير الشعور

في منى بعد الذبح ، وفي العاشر من ذي الحجة ينتهي الحج وتنتهي مظاهره الكبرى . فالحج الحقيقي ، على ما يظهر ، هو ما وصفنا من سير الحج بعد انتهاء الاسواق الى عرفة ووقوفهم هناك . ثم إفاضتهم الى المزدلفة وبقاؤهم ليلة موقدين النيران ، ثم نفورهم الى وادي منى حيث يذبحون، ويحلق البعض رؤوسهم وينتهي الاحرام .

---

١) القرآن الكريم : س ٣٧ آية ٩٨ ـ ١٠٨ . ويراجع قصص الانبياء ص ١٥٠ ـ ١٥٣ ٢) ص ١٦ ـ النصرانية وآدابها الخ .
٣) ص ٣٠ Smith : Religion of the Semites
٤) ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ نفس المصدر ٥) القرآن الكريم: س ٢٢ آية ٢٨

اما لماذا يحلقون في الحج شعورهم ، فلانه كان من غريب عاداتهم ان يلبدوا شعورهم قبل حجهم حتى وصولهم الى منى . والتلبيد – كما ذكر الجاحظ – هو اخذهم شيئاً من خطمي وآس وسرو ، وشيئاً من صمغ . يجعلونه في اصول شعورهم وعلى رؤوسهم كي يتلبد الشعر فلا يفرق ، ويدخله الغبار ويخم فيقمل ١) . ولعل فيما جاء في تاج العروس شيئاً من ايضاح الاسباب العميقة التي توصل بها البعض – ولعلهم الفقراء من سدنة منى نفسها – الى جعل العرب يقومون بهذه العادة لغرض مادي ايضاً .. ذكر صاحب التاج قول ابن الكلبي ان اهل اليمن كانوا اذا حلقوا رؤوسهم بمنى ، وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق ، فاذا حلقوا رؤوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق . ويجعلون ذلك الدقيق صدقة . فكان اناس من اسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه، يرمون الشعر وينتفعون بالدقيق ٢) ولا ارى بعيداً ان اولئك الاقوام وغيرهم انما كانوا ينتفعون بالشعر ايضاً. وبغير ما ذكرنا لا نفسر التلبيد والحلق، ولا نقبل مطلقاً سبباً دينياً محضاً .

ولم تكن عملية التقصير والحلق تحصل في منى فقط ، اذ كان هنالك بينهم من لا يرى تماماً لحجه الا اذا جاء صنمه وحلق عنده . ذكر ابن الكلبي حديث رجل من قريش قال : « كانت الاوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب اهل يثرب وغيرها ... يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم . فاذا نفروا اتوه « يعني صنم مناة » فحلقوا رؤوسهم عنده واقاموا عنده . لا يرون لحجهم تماماً الا بذلك » ٣) .

وقد جاء بيت لزهير بن ابي سلمى في قصيدته الجميلة : « صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو » يشير إلى هذه العادة وهو قوله:

فاقسمت جهداً بالمنازل من منى   وما سحقت فيه المقادم والقمل ٤)

وفي رواية ابن الكلبي: «حلفت بانصاب الاقيصر جاهداً» ٥) وهي رواية تفيد ايضاً انهم كانوا يحلقون عند اصنامهم .

وامتدت هذه العادة حتى دخلت الاسلام . وامر النبي بالحلق او التقصير ، وكان يقول : اللهم ارحم المحلقين والمقصرين ٦) .

---

١) ص ١١٤ ج ٥ – البيان والتبين للجاحظ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٢
٢) ص ٤٨٦ ج ٣ – تاج العروس
٣) ص ١٤ كتاب الأصنام للكلبي
٤) ص ٨٩ – العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين – طبعة غريفرولد
٥) ص٣٨ كتاب الأصنام . راجع ص ٣٤٠ ج١ : معجم البلدان لياقوت
٦) ص ٢١٣ ج ٢ صحيح البخاري

العمرة والسعي

اما ما يسمونه « العمرة » – وفيها ايضاً يحرمون ، ومن اخص اعمالها الطواف بالبيت – فهي على ما نرى حج اصغر لا يجوز ان يقوموا به في اشهر الحج . حتى انهم « كانوا يرون ان العمرة في اشهر الحج من أفجر الفجور في الارض » ١) .

ولعل غالب اعتمادهم في رجب – وان جاز الاعتمار طوال السنة – والسبب ، كما اراه واضحاً ، هو حرمة هذا الشهر . والاشهر الحرم كما هو معلوم أربعة : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ورجب . فلما حرموا العمرة في الثلاثة الاولى ، وكان الرابع « رجب » شهراً حراماً ، رأوا ان يفدوا الى مكة به حتى يكونوا آمنين على نفوسهم واموالهم عند الاعتمار .

وللاعتمار او العمرة لغة ، القصد ، كالحج . وتسمى بالحج الاصغر ٢) وعملا ، كما قال الزجاج : الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ٣) . كما انها تفترق عن الحج كونها للانسان في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، وذلك في اشهر معلومات : شوال ذي القعدة ، وعشرة من ذي الحجة ٤) .

واما السعي بين الصفا والمروة ، فعادة وثنية . قديمة . وكنا ذكرنا انه كان على الصفا والمروة اساف ونائله ، يسعون بينهما ويتمسحون بهما . ولربما ارجعو هذه العادة الى هاجر نفسها ، وذلك حينما عطش طفلها اسماعيل ، واخذ يتلوى من شدة العطش في مكان زمزم « قبل ان يكون ماء في زعمهم » يوم اخذت تصعد تارة الى الصفا وتنحدر طوراً الى المروة تسعى سعي الانسان المجهود . ولقد نسبوا تعليق السعي بفعل هاجر الى النبي قائلا : فلذلك سعى الناس بينهما ٥).

واستمرت هذه العادة ايضاً حتى اصبحت شعيرة من شعائر الحج في الاسلام . ولما كان السعي عملا دينياً في الجاهلية ، لذلك تهيب الناس القيام به في الاسلام ، فجاءتهم الآية :« ان الصفاء والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم »٦)

الطواف والتلبية

ولعل الطواف عند الذبح بالصنم او الحجر المؤله هو اصل

---

١) ص ١٧٥ ج ٢ صحيح البخاري
٢) ص ١٤٧٠ ج ٢ محيط المحيط لبطرس البستاني ، بيروت ١٨٧٠
٣) ص ٤٢٢ ج ٣ – تاج العروس
٤و٥) راجع ص ٢٨٢ ج ٦ لسان العرب لابن منظور
٦) القرآن الكريم س ٢ آية ١٥٣

الطواف الذي كانت تقوم به قريش والعرب قبل الاسلام حول الكعبة . كما ان التهليلات التي كانوا يرددونها لايستبعد ان تكون تطوراً لصراخهم الذي كان يصطحب قتل الضحية، والذي يمكن ان يكون في شكله الاول ندبا على موتها ، بل ان «سمث» يرى ان هذا الندب الذي اتخذ شكل مديح مرتل - كما وصف نيلوس - قد انحط الى ترديد للكلمة : لبيك لا معنى له ١) . وهو يرى ايضاً ان التهليل كان يصطحب الرقص حول المذبح حيث ان الرقص - في نظره - والغناء ما كانا لينفصلا في العصور ٢)

ومن هذا القول قولهم : «سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لايتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه ، اي نصفر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بايديهم اذا طافوا بها » ٣) . وقد جاء في الكتاب : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ٤) لايختلفان كثيراً عن نغم الذين كانوا يطوفون بالاقيصر وغيره . قال ربيع بن ضبع الفزاري :

فانني والذي نغم الاله له حول الاقيصر تسبيح وتهليل ٥)

واما تلبياتهم فكانت تختلف باختلاف القبائل حتى كاد ان يكون لكل قبيلة كبيرة تلبية خاصة بها . قال اليعقوبي :« كانت العرب اذا ارادت حج البيت الحرام ، وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة ٦) فتتراجع في مكانها من تاريخه ، على اننا نثبت منها تلبيات ثلاث قبائل : تلبية قريش :

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك
تملكه وما ملك

وتلبية تميم :

لبيك اللهم لبيك لبيك لبيك عن تميم
قد تراها أخلقت اثوابها واثواب من وراءها
أخلصت لربها دعاءها

وتلبية ثقيف : لبيك اللهم ... ان ثقيفا قد اتوك واخلفوا المال وقد رجوك .

وقد ذكر ابن الكلبي في كتابه الاصنام : تلبية نزار :

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك، الا شريك هو لك تملكه وماملك.

وتلبية عك . وكانت اذا خرجت للحج ، قدمت امامها غلامين اسودين من غلمانها يقولان .

نحن غرابا عك !

فتقول عك من بعدها .

عك اليك عانية عبادك اليمانية
كيما نحج الثانية ١)

هذا ، ولم تختلف التلبية في الاسلام مما كانت عليه من صيغها والفاظها . رووا عن عائشة قالت : « اني لاعلم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبي : لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك » ٢) .

النسيء والحس

ذكرنا في السابق ما كان عليه العرب من تعظيم لامكنة خاصة وشهور معينة يتحرجون فيها القتال ، لا يسفكون دماً ولا يقترفون مظلمة.. ولما كان الاخذ والعطاء يحتاجان امناً وسكينة ، لذلك وجدناهم يقيمون اعظم اسواقهم في الاشهر الحرم ، حتى ان الرجل يلقى فيها قاتل ابيه او اخيه فلا يهيجه ٣) . على ان منهم من شذ عن هذه القاعدة فاستحلوا المظالم في هذه الاسواق، ولهذا سموا « بالمحلين » فانكر عليهم البعض ذلك ، ونصبوا انفسهم لنصرة المظلوم ، والمنع من سفك الدماء ، وارتكاب المنكر فسموا « بالذادة المحرمين » . ولبسوا السلاح لدفعهم عن الناس ، والعرب بين اولئك وهؤلاء يضعون اسلحتهم في الاشهر الحرم ٤) .

وليس بعجيب ان يشذ اناس ويستحلوا حرمة هذه الاسواق. فقد كان يحدث ما ينتهك حرمة الحج نفسه في الاشهر الحرم ، وهذا الشنفرى - كما روى - يقدم منى وبها حرام بن جابر فيقال له : هذا قاتل ابيك ، فيشد عليه ويقتله ، ثم يسبق الناس على رجليه وهو يقول :

قتلت حراما مهديا بملبد ببطن منى وسط الحجيج المصوت

وهذا البيت في قصيدته التائية الرائعة التي يقول في مطلعها :

أرى ام عمرو أزمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت ٥)

ولا بأس .. فالبدوي مهما قوي دينه لا يصده عن طلب ثأره ، فكيف يسكت هذا الصعلوك المتشرد .

هذا ، ولما كانت وطأة الاشهر الحرم ثقيلة عليهم يضجرهم تتابع اشهر ثلاثة متواصلة منها ، لذلك رأوا في النسيء مذهباً يحلهم من هذا القيد .

١) ص ٤٣١ - ٤٣٢ Smith : Rel. of the Semites
٢) ص ٣٤٠ نفس المصدر ٣) ص٦١٦ ج٤ معجم البلدان لياقوت
٤) القرآن الكريم س ٨ آية ٣٥ ٥) ص ٣٩ كتاب الاصنام
٦) ص ٢٩٦ ج ١ تاريخ ابن واضح اليعقوبي

١) ص ٧ كتاب الاصنام ٢) ص ١٧٠ ج ٢ صحيح البخاري
٣) ص ٩٦ ج ٣ بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب للآلوسي
٤) راجع ص ٣١٤ - ٣١٥ ج١-تاريخ اليعقوبي ٥) راجع اخبار الشنفرى في ص ١٣٤ - ١٤٣ ج ٢١ من كتاب الأغاني

والنسيء يعطي في اللغة معنى التاخير . واصله من نسأت الشيء اذا اخرته ١) يقول جران العود :

فتقضيني مواعد منسآت وأقضي ما علي من النذور ٢)

وجاء في ابن هشام : « كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من اشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من اشهر الحل ، ويؤخرون ذلك الشهر » ٣) وفي الامالي : « كانوا اذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة فقال : انا الذي لا اعاب ولا يرد لي قضاء . فيقولون له انسئنا شهراً اي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر . وذلك لانهم كانوا يكرهون ان تتوالى عليهم ثلاثة اشهر لا تمكنهم الاغارة فيها لان معاشهم كان من الاغارة . فيحل لهم المحرم ، ويحرم عليهم صفرا ، فاذا كانت السنة المقبلة حرم عليهم المحرم وأحل لهم صفر » ٤) ولهذا نزلت تحرم عليهم النسيء الآية : « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » ٥) .

ومن العرب من كان لهم ثمانية اشهر حرم وهي البسل فيما يزعمون ، كانت لبني لؤى من بين العرب كل سنة . وقد عرفت لهم العرب ذلك ، لا ينكرونه ولا يدفعونه . يسيرون بها الى اي بلاد العرب شاءوا لا يخافون فيها شيئاً ٦) .

وكانت قريش قد ابتدعت أمر الحمس ، ولا ندري متى ؟ والاحمس في اللغة من حمس . وهو المتشدد بالدين والحمس لقب لقريش ومن ولدت ٧) . ولعلهم استغلوا نفوذهم في قبائل العرب ، وسذاجة من حولهم ، ولم يكتفوا بالزعامة التجارية التي كانت تتجلى في الاسواق ، بل آلوا على انفسهم ان يصطبغوا بصبغة دينية ـ ولعلها وسيلة للسيطرة التجارية ايضاً ـ لينفردوا بالحرمة والتقديس ، وليتمكنوا من التمويه على الناس محافظة على تلك الزعامة .

ومما كانوا يقولون فيما بينهم : « نحن بنو ابراهيم ، واهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقاطن مكة وساكنها فليس لاحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلنا ، ولا تعرف له

١) راجع المعاجم ٢) ص ٢٦ ـ ديوان جران العود لأبي سعد السكري ، « ت ٢٧٥ هـ » دار الكتب ، مصر ١٩٣١
٣) ص ٢٩ ـ ٣٠ السيرة رواية ابن هشام ٤) ص ٥ ـ ٦ ج ١ كتاب الأمالي لأبي علي القالي المطبعة الأميرية ـ مصر ١٣٢٤
٥) القرآن الكريم س ٩ آية ٣٧. راجع تفسير الطبري والزمخشري .
٦) ص ٦٦ ـ السيرة لابن هشام ٧) ص ١٣٢ ج ٤ ـ تاج العروس

العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم » ١) .

والكتاب بقوله : « وافيضوا من حيث افاض الناس » ٢) يشير الى تركهم الوقوف على عرفة والافاضة منها . وهم يرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها . الا انهم قالوا : نحن اهل الحرم فليس ينبغي لنا ان نخرج من الحرمة . وهذا يدل على مقدار تمسكهم بتلك المكانة التي كانت لهم .

ثم ابتدعوا اموراً لم تكن ، فرضوها على انفسهم . فاذا نسكوا لم يدخلوا البيوت من ابوابها ، ولا استظلوا الا قباب الادم ، ولم يمسوا النساء ، ولا الطيب ولم يسلؤا سمناً ، ولا ادخروا لبناً ، ولا اكلوا لحماً ٣) .

واحبوا ان يعمموا شيئاً على اهل الحل ، فقالوا لا ينبغي لهم ان يأكلوا طعاماً جاءوا به معهم من الحل الى الحرم... كما يجب على اهل الحل ان لا يطوفوا الا في ثياب الحمس ، فان لم يجدوا طافوا في البيت عراة . اما الرجال فكما خلقهم الله ... واما النساء فتضع الواحدة درعاً مفرجاً عليها ٤) . وجاء في البخاري ما يفيد ذلك ٥) .

وليس بعيداً ان يكون وراء اشتراطهم هذا ، واعني تحريمهم على الناس اكل ما جاءوا به من طعام من الحل الى الحرم ، وطوافهم الا في ثياب أحمس ، سبب آخر غير التحريم والتحليل.. الا وهو رواج ما عندهم في مواسم الحج من مأكول وملبوس ، وفي ذلك ما فيه من الاستفادة التجارية ... وهل معايشهم ـ كما قال عمر ـ الا من التجارة في الحج ؟

وقد حرم النبي على العرب فيما حرم طوافهم بالبيت عراة ، وذلك حينما أمر قبل حجة الوداع ان يؤذن في الناس الا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ٦) ... كما نزلت الآية تقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ٧) .

محمود الحوت

١) ص ١٢٦ السيرة لابن هشام ٢) القرآن الكريم س ٢ آية ١٩٩
٣) ص ٢٩٨ ج ١ تاريخ اليعقوبي
٤) ص ١٢٨ السيرة لابن هشام
٥) ص ٢٠٠ ج ٢ صحيح البخاري
٦) ص ١٨٨ ج ٢ نفس المصدر
٧) القرآن الكريم س ٧ آية ٣٠

آفاق

الى الناسك والمسافر اللذين
يتصارعان في نفسي

✡

لناصر أبو حيمد
البحرين

ضاقت بنا الآفاق يا ايها العملاق
في عالم ليس به حب ولا اشواق
الناس فيه صور ميتة الأحداق
ليس على وجوههم بشر ولا اشراق
مات الوجود فيهم وجفت الأعماق

***

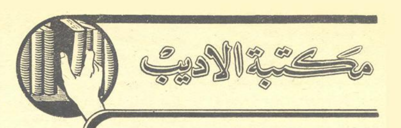
فؤادي الخفاق ضاق به الحس
لم يبق عندي امل لم يطوه اليأس

***

يا ايها العملاق قد ضحك الرمس ! !
الناس حولي جثث لموتها عرس !
اعبر بنا الآفاق قد ضاقت النفس
اخاف أن يفلت مني الغد والأمس

***

دونك هذا معبرا تضيئه الشمس
فلننطلق على دروبه ولا نقسو
فالناس فيه عالم يرعشه الهمس !



حفار القبور

لبدر شاكر السياب - ملحمة شعرية - ٢٤ صفحة - منشورات اسرة الفن المعاصر ببغداد

من الشخصيات الطريفة التي خلقها القصصي البارع نجيب محفوظ في قصة « زقاق المدق » ، شخصية زيطه ، الرجل الذي كان حاذقاً في صنع العاهات لمن يطلبونها حتى يستعطفوا بها قلوب الناس ويتخذوها مورداً للرزق . وظل زيطه يعمل في صنعته مطمئناً الى ما تدره عليه حتى قامت الحرب فشوهت من شوهت ، وضربت بالعاهات من ضربت، وكان زيطه ممن جنت عليهم لأنها افقدته المصدر الذي يتعيش منه ، والقت بصنعته في سوق الكساد .

اعكس هذه الصورة بعض الشيء ترتسم امامك شخصية « حفار القبور » التي يصورها الشاعر بدر شاكر السياب في ملحمته الشعرية . فحفار القبور هو الرجل الجائع الذي يموت ان لم يمت الناس ، فهو يكره السلام ويتمنى الحرب، ويمقت الكسل والخمول في عزرائيل ومن أجل ذلك يتفنن في تصوراته التي تنعش له مهنته ، ويتمنى على الله ان يبطش بالناس «نسل العار» ويهلكهم بالرجوم :

يا رب .. ما دام الفناء
هو غاية الاحياء ، فأمر يهلكوا هذا المساء
سأموت من ظمأ وجوع
إن لم يمت بعض الأنام

كل ذلك لان حفار القبور - على عكس زيطه - لا وجود لصنعته الا بوجود الحرب .

غير أنه حفار بوهيمي لا يكاد يجد المال في جيبه حتى يندفع به الى الحانات ودور البغايا ، وقد تركته مهنته فريسة للنزوات من كثرة ما دس في الثرى من اجسام فاتنة ؛ وفي الفصل الاخير من قصة هذا الحفار الذي يعيش على غرائزه يدفن المرأة التي كانت تهبه جسدها ويسترد الاجر الذي دفعه لها :

ماتت كمن ماتوا وواراها كما وارى سواها
واسترجعت كفاه من يدها المحطمة الدفينة
ما كان اعطاها ...
وتظل انوار المدينة وهي تلمع من بعيد
ويظل حفار القبور ، ينأى عن القبر الجديد
متعثر الخطوات يحلم باللقاء وبالخمور .

ان في هذه الملحمة معنى المأساة الكامنة في ضروب من الصراع . فالحفار في صراع مع غرائزه وشعوره مقسم بين الدعوة الى الحرب والثورة عليها، واذا شعر من نفسه بالوحشية لتمنيه الحرب والدمار اعتذر عن ذلك بقوله:

أنا لست أحقر من سواي ،
وإن قسوت فلي شفيع ... إني كوحش في الفلاة
لم اقرأ الكتب الضخام
وشاقني ظمأ وجوع
أو ما ترى المتحضرين ،
المزدهين من الجديد بما يطير وما يذيع ؟
إني نويت ... ويفعلون ،
والقاتلون هم الجناة وليس حفار القبور

وهو حفار كثير التردد بين عقله وغريزته، متلظي الهواجس كلما تصور النهد خاصة ، فليس هو كحفار القبور في رواية هملت يغني فوق الاشلاء ويتفلسف في شيء من التهكم الساذج ، وليس هو كبعض شخصيات كافكا التي ترتطم بكثير من الحبال المنصوبة في كل مكان وتخرج في النهاية بظلال الحيرة محاولة ان تلمح من وراء كل شيء حكمة خفية . ولكن هذا الحفار صورة اخرى من المومس التي تعيش ايضاً في صراع بين المبدأ والحاجة ثم تغلبها شهوة النفس على كل مبدأ ، ولعلها تتصور ان الفضيلة التي تكبح شهوات الناس هي سبب موتها فهي تطلب الحياة من طريقها السلبي . وليس من العبث ان عمد الشاعر الى الربط بين الشخصيتين في ملحمته ربطاً وثيقاً فجعل الحفار يهلل لمقدم احد الموتى بقوله « ضيف جديد » ! وجعل المرأة الخاطئة تردد القولة نفسها وهي تسمع طرقاً على الباب ، غير ان حفار القبور اكثر تورطاً في انواع الصراع من تلك المرأة واقسى صورة منها وهو يسترد ما اعطاه لها حين يضعها في التراب . والمأساة الحقيقية ليست في مقدرات الحفار بل في تعاسة المرأة ، وليست في طبيعته الحيوانية بل في مهنته التي تضطره احياناً ليدفن عمته او اخته او شخصاً آخر كان حبيباً اليه .

ولست احب ان ابعد في الرمز فان من شاء ان يجد في

شخصية الحفار معنى اعمق وجد ، ولكنني اعتقد ان الاستاذ السياب قد اسرف كثيراً في تصوير الشهوات حتى خيل الى القارىء انه كان يريد ان يجعل قصيدته متنفساً للتعبيرات الشهوانية المحمومة . وهو قد اوقع نفسه في موقف لا إنساني حين جعل من الحرب موضوعاً للاخذ والرد ، وليس في الوجود ما يحسن الحرب من حيث المبدأ الانساني العام حتى ولا منطق الحفار القائم على جوعه وعوزه. لان الحرب في حقيقتها قد تأكل الحفار قبل ان تهيء له الطعام ـ وهي ناحية لم يلتفت اليها الشاعر ـ ولان الموتى في الحرب لا يدفنهم حفار بأجر ـ وهي ناحية اخرى من الواقع . فالروح المخربة التي تسكن في جسم ذلك الرجل ـ اعني الحفار ـ تجعلنا نضحي به من اجل المجموع وخاصة حين يكون الحفار رمزاً للطاغية المستبد في الامة ، يضحي بابنائها من اجل ان يأكل ويحفر في كل يوم قبراً او قبوراً ليداوي حمى الجشع في نفسه ، ولقد كان في استطاعة الشاعر ان يتخذ من شخصية الحفار رمزاً للقوى المتحررة لا لعبودية الغرائز .

وملحمة حفار القبور تهم الذين يربطون بين الادب والتحليل النفسي لان فيها من صدق التصوير لبعض العقد الدقيقة ، ما يجعلها فريدة في هذا المجال ومن السهل ان يعثر فيها القارىء المدقق على فكرة الـ Re - birth التي يمثلها الالحاح الشديد في اعتصار « الثديين » ومنظر الدماء المعتصرة «ص١٥» والحفرة المعدة قبل الاوان لاستقبال العائدين الى « رحم » التراب . وفي هذه الملحمة ثورة نفسية عاتية على الابوة « او على الاب بتعبير ادق » ، ولكن مما يخفف منها احياناً خضوع شخصية الحفار لغرائزه وجوعه وجهله ، ونستطيع ان نجد هذه الثورة في مواقف كثيرة من الملحمة وخاصة ان الشخص الاخير الذي يواريه الحفار في النهاية هو « الانثى المظلومة » ـ رمز الامومة ـ التي تكون فريسة له مرتين : حين يشتري جسدها بالنقود ، وحين يسترد نقوده منها . وقد كان من آثار هذه الثورة ان مضى الحفار عنا ونحن لا نعطف على وجوده وظل في النهاية حياً ليظل نفورنا منه حياً وماتت المرأة المظلومة قبله لتثير فينا شيئاً من الاسى على مصيرها التعس . وقد صور الشاعر بطل ملحمته في صورة تشبه الاطار الخشبي ، فطمس فيها الحياة الانسانية حين يقول :

كفاه جامدتان أبرز من جباه الخاملين
وكأن حولهما هواء كان في بعض اللحود
كفان قاسيتان جائمتان كالذئب السجين
وفم كشق في جدار ... ومقلتان بلا بريق

اما المرأة فانها انثى مسكينة حيية متسترة حزينة حتى ان باب بيتها قد تعود الرثاء لحالها الشقية ، وفي وجهها الق ضئيل لا يحجبه الا ظل العلاقة بينها وبين حفار القبور .

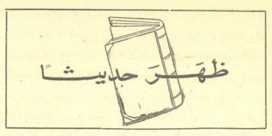
اما في صور التعبير فربما اقترحت على الشاعر ان يقلل من الاغراب في تتبع الصور الواهمة كقوله « او كما بهتت شموع في هيكل الذكرى يحوم ظلهن على دموع » فان العناية بهذه الصور يعرقل الاستمرار الطبيعي في خيال المترسم لخطوات القصة ، ولعل الشاعر ان يترك القوافي جميعاً ساكنة فان تحريكها يبدو غير طبيعي في هذا اللون من الشعر .

الخرطوم ـ كلية الخرطوم الجامعية **احسان عباس**

مجلة الزراعة العراقية

منذ سنوات عديدة ومجلة الزراعة العراقية تصدر بانتظام ، يحمل كل عدد منها احدث المواضيع والبحوث التي تهم المزارع العراقي ، هذا الى آخر ما وصل اليه العلم من مخترعات زراعية ، تعين المشتغلين بالارض للوقوف على آخر الاساليب الحديثة من ناحية الانتاج واستغلال خيرات الارض استغلالا يعود بالرفاء على الشعب العراقي .. وقد كانت هذه المجلة بما تقدم للمزارعين والمنتجين وطلاب المدارس الزراعية خير عون على التقدم الزراعي ... نذكر هذه الكلمة بمناسبة عددها الضخم الممتاز الذي اصدرته وزارة الزراعة اوائل هذه السنة الجديدة فقد جاء في ضخامته وتبويبه واناقة طبعه تحفة فاخرة ، واذا علمنا ان الاستاذ محمود فهمي درويش سكرتير تحرير المجلة وان المشرف عليها الاستاذ درويش الحيدري مدير الزراعة العام هما اللذان يقومان بهذا العمل لا نستنكر عليهما ان يجيء العدد الاخير من المجلة على هذه الصورة ، خاصة وان هذا العدد صدر في « ٢٥٠ » صفحة من القطع المتوسط .. وقد طبع في مطبعة الرابطة ببغداد ... ونحن في الوقت الذي نشكر فيه مديرية الزراعة على قيامها باصدار هذه المجلة بانتظام تام طيلة هذه السنوات لا يسعنا الا ان نبارك جهود مديرها العام على ما يقدم للمزارع العراقي من خدمات وارشادات هي خلاصة تجاربه في هذه المديرية الهامة مدة عشرين عاماً ... وفقه الله في خير البلاد .

بغداد **عبد القادر رشيد الناصري**



ديوان الشاعر القروي

لرشيد سليم الخوري الشاعر القروي - ١٠٠٠ صفحة تقريبا - ورق فاخر - مطبعة صفدي التجارية بسان باولو البرازيل

بددت روحي ثم لممتها ... حفظاً لذكري قبل يوم الرحيل
ماكل سطر من كتابي سوى ... شعاعة من نور قلبي الضئيل
ان أفلت نجمة عمري فقد ... تطلع في الارواح مع كل جيل

هذه الابيات الجميلة سطرها صديقنا الكريم الشاعر القروي مع كلمة الاهداء التي تلطف بها فرأينا ان ننقلها الى القراء في الكلمة السريعة التي ننشرها الآن تعريفاً بالديوان على امل العودة اليه بما يستحقه من نقد وتقريظ في عدم قادم.

يكفي هذا الديوان تعريفاً انه مجموعة دواوين شاعر العروبة الشاعر القروي الاستاذ رشيد سليم الخوري وهو يتضمن سبعة ابواب هي: « البواكير » - منظومات متعددة الاغراض مختارة من ديوانيه « الرشيديات » و « القرويات » المطبوع اولهما سنة ١٩١٦ وثانيهما سنة ١٩٢٢ في سان باولو بالبرازيل. و « الاعاصير » - مختارات من شعره الوطني طبعت في سان باولو سنة ١٩٣٣ وفي صيدا بلبنان سنة ١٩٤٨. و « الزمازم » - مختارات من منظوماته الحماسية بعد طبع الاعاصير: و « المحافل والمجالس » ما انشده في شتى المناسبات الاجتماعية. و « زوايا الشباب » - من شعره الغزلي. و « الموجات القصيرة » - خواطر اكثرها مما كان ينشره نثراً بعنوان « شرر الفكر » واخيراً « الازاهير » - اضمامة معظمها من الشعر المثلاني.

وهذه الاناشيد الخالدة يقدمها الشاعر القروي الى ابناء العروبة باسم « ديوان الشاعر القروي » في الف صفحة تقريباً من الحجم الكبير على ورق فاخر وطبع انيق وتجليد جميل وهو يطلب منه على هذا العنوان: Sr. Rashid Cury
Caixa Postal 1812 Saô Paulo — Brasil

كتاب الشهر

سلسلة شهرية - صدر منها ٤ اجزاء - ١٦٠ صفحة - حجم صغير - تصدر عن دار الدنيا - دمشق

هذا الكتاب الشهري الذي يصدر عن دار مجلة الدنيا بدمشق لصاحبها الاستاذ عبد الغني العطري مشروع ثقافي مفيد فهو يعطي للقارىء العربي مجموعة ثقافية مختارة على النهج التالي: كتاب عالمي مترجم، وقصة عالمية رائعة وتحليل لشخصية عالمية مشهورة... مع ابواب ومواضيع مختلفة اخرى. ويلاقي « كتاب الشهر » قسطاً كبيراً من النجاح والانتشار بفضل الجهود الكبيرة التي يبذلها صديقنا الاستاذ العطري في اختيار مواضيعه الشائقة المفيدة فنهنئه ونرجو لمشروعه المفيد النجاح والازدهار.

المختارات

المختارات من اشعار شاعر الاقطار العربية وامام الصناعتين خليل مطران - جمعها ورتبها السيد محمد ابو المجد استاذ الأدب العربي بالمعهد العالي لفن التمثيل والفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى - يقع الجزء الأول في ٢٥٠ صفحة والجزء الثاني في ٢٧٥ صفحة - حجم كبير - المطبعة البولسية حريصا - لبنان

يقول الاستاذ السيد محمد ابو المجد في التقدمة:

« ... وحسبنا ان نقدم للمنتخب من اشعاره والمختار من عرائسه بهذه الكلمة الموجزة باعتبار انها ترشد القارىء الى هذا القلم المنيف الذي يعد بحق رائداً من رواد التاريخ الفني الحديث وحسب هذا المختار من شعره ان يكون كالاسوار العالية التي اقامها ولكن ليس على سبيل الحصر، وانما على سبيل ان في الجزء دلالة الكل، وان في القطرة عظمة البحر، وان في الحصاة ضخامة الجبل.

وما اشبه هذه المختارات بالبوابة التي استفتحتها تقفل تواً امام شاعر ينوف انتاجه الضخم الادبي على سبعة مجلدات تترجم في حق وصدق عن تطورات نصف قرن من الزمان وترسم ما ابدعته يراعة الشاعر والناثر امام الصناعتين خليل مطران ».

رباعيات وتأملات

لحليم دموس - مجموعة شعرية ونثرية تصدر تباعا في عشرين جزءا - صدر منها جزءان - ٩٦ صفحة الجزء - منشورات دار الانصاف بيروت

يقول الشيخ هاشم الدفتر دار المدني الاستاذ في كلية فاروق الاول الشرعية ببيروت في مقدمة الجزء الاول من هذه المجموعة:

« حليم دموس في نظر ابناء المجتمع العربي كالينبوع الذي خلق ليفيض ابداً من نميره الصافي، فهم في كل يوم ينتظرون جديداً، من ادبه الحي وبيانه الرائع. وها هو اليوم يقدم بكل اعتزاز وفخر باقة مزدهرة متضوعة من باقاته الكثيرات التي

اعتاد ان يقدمها اليهم من آن الى آن تلكم الباقة الحديثة هي « رباعياته » الشعرية الفائضة بالالهام والجمال ، والروح والفن و« تأملاته » النثرية المنهملة بالحكمة العميقة ، والوعي النافذ ، والايمان الصافي صفاء الملاك المجنح باشراق الوحي وطهر السماء».

تثنية الاقاصيص

للدكتور صلاح الدين الناهي ـ مجموعة قصص ـ ١٦٨ صفحة
مطبعة أسعد بيغداد العراق

يقول الدكتور في المقدمة : « ما اراني بحاجة الى تقديم هذه المجموعة فقد عرف القراء اختاً لها من قبل ، ولعل اوجه الجدة فيها بالنسبة الى اختها غير قليلة فاغلب اقاصيص هذه المجموعة احدث عهداً من اقاصيص المجموعة الاولى وهي ادنى منها الى البيئة العراقية وان لم تخل من اقاصيص مجردة عن صبغة البيئة متصلة بالنفس الانسانية في جميع بيئاتها وعلى اختلاف الوانها . وما اراني ايضاً بحاجة الى تفصيل وجهة نظري في كتابة الاقصوصة وعدم التزامي حدودها المرسومة لها احياناً فاني اتخذ من الاقصوصة في الغالب وسيلة لا غاية وملهاة الهو بها في التعبير عن كثير من الافكار والمشاعر ولربما اجتمعت الغاية والوسيلة احياناً وربما تباعدت الشقة بينهما احياناً وحسبي في الحالين ان احرك في نفس القارىء وذهنه اموراً كانت بحاجة الى ما يحركها وينشطها ».

الوجودية هي انسانية

للكاتب الفرنسي جان بول سارتر ـ ترجمة بشير النحاس
٩٠ صفحة ـ مطبعة الشباب بحلب

يقول الاستاذ بشير النحاس في المقدمة : « ترجع نشأة الوجودية الى النصف الاول من القرن الماضي حين نشر مؤسسها الفيلسوف الدانمركي « سورين كيركجارد » باكورة كتبه بعنوان « اما واما » فعالج لاول مرة فكرة الاختيار بصورة خاصة ودعا الانسان الى ان يختار ذاته بذاته والا فقدها كل الفقدان . وبدأ الفيلسوف بنفسه الاستجابة لدعوته فاختار طريق الدين والايمان ولعل منحاه هذا انما كان نتيجة للاخفاق الذي مني به في حياته العاطفية فراح يبتغي العزاء والسلوان باقتفاء آثار السيد المسيح . وكان على كل ما كتبه بعد ذلك طابع الورع والزهد والايمان .

وما ان قضي « كيركجارد » نحبه حتى اخذت الوجودية

تتجه جنوباً فلما اندلعت نار الحرب العالمية الاولى وانقشعت عن هزيمة المانيا انتشر هذا المذهب فيها وازدهر. فعرفت الوجودية هناك فلاسفة اعلاماً امثال «كارل جاسبرس» و «مارتن هايدجر» و «ادمون هوسيرل» وباتساع آفاق الوجودية تعددت اتجاهات فلاسفتها وتنوعت آراؤهم حسب العقائد السائدة على الافكار من ايمان بوجود الله وانكار، ولكن جميع هؤلاء الفلاسفة كانوا يتلاقون في جوهر المذهب وصميمه: فجميعهم على تباين نظراتهم الى وجود الله او عدمه يعتمدون على الذات الانسانية المجردة وينشدون الحرية المطلقة وينزعون الى الاعمال المثالية.

ومن المانيا سرت الوجودية الى فرنسا غير انها لم تتجاوز بادىء بدء عدداً يسيراً من الاشياع والاتباع. فلما وقعت الحرب العالمية الثانية واندحرت فرنسا اخذ الشباب الفرنسي الحيرى يتلمس الطريق الى عقائد تبعث في نفسه الثقة بالذات والايمان بالحرية والقدرة على العمل فكان ذلك الانتشار الواسع الذي اصابته الوجودية وكانت تلك الحماسة فرأينا كتاباً كباراً وفلاسفة في طليعتهم البير كاموس ومدام سيمون بوفوار واخصهم عميد الوجودية الفرنسية جان بول سارتر ينذرون انفسهم ويكرسون وسعهم لخدمة هذا المذهب ونشره. اما ابرز ما تمتاز به الوجودية الفرنسية او بتعبير ادق وجودية «سارتر» فهو ان مبدأها غير معني ولا مكترث ولا مركز على اثبات وجود الله او عدمه من جهة وان فلسفتها تناهض المادية من جهة اخرى ثم هي تعتقد بان مصير الانسان هو في الانسان ذاته وان الانسان يحقق وجوده بعمله فقط وان للفرد مطلق الحرية في ان يفعل ما يشاء شريطة ان يقر بمسؤوليته عن وجوده وبالتالي عن جميع ما يصدر عنه من تصرفات.»

الادب الفرنسي في عصره الذهبي

لحسيب الحلوي، ماجستير في الاداب - ٧٧٢ صفحة - حجم كبير

نشر المكتبة العربية - وطبع مطبعة المعارف بحلب

هذا الكتاب مجموعة دراسات للبيئة الفرنسية في القرن السابع عشر، ولنشأة الادب الكلاسيكي وتطوره، ولحياة ادبائه ومناحي تفكيرهم وفنهم مع نماذج مختارة من تمثيلياتهم ونثرهم وشعرهم ويقول الاستاذ مؤلف الكتاب: «نقدم الى القارىء العربي دراسة على شيء من التفصيل للحياة الادبية في فرنسا في القرن السابع عشر. وانما وقع اختيارنا على هذا القرن لاسباب منها انه باعتراف جمهرة المؤرخين عصر الآداب الذهبي في فرنسا لكثرة الانتاج الفني فيه، ولاصالته وبعد اغواره، ومنها ان سلطان العقل في هذا العصر اربى واغلب منه في باقي العصور، وان قوام الفن فيه هو الغوص الى اغوار النفس واستجلاء اسرارها الامر الذي يجعل عملنا - وهو يتناول دراسات ونماذج - اقرب الى افهام القراء...

... هذا الى اننا لم ندخر جهداً في تقديم نماذج وافرة، وفي الاغلب كاملة، لزعماء المنظوم والمنثور في هذا العصر وحرصنا جاهدين الا تقتصر هذه الترجمات على الدقة في اداء المعاني بل جاوزنا ذلك الى هدف اسمى فحاولنا ان تنقل الى اللسان العربي روح كل شاعر وانفاسه وفنه واسلوبه».

لعنة الشيطان

القصة الشعرية التي فازت بالجائزة الاولى في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري لسنة ١٩٥٠ ببغداد للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في ٢٠ صفحة مع رسوم بريشة الفنان يحيى جواد. طبعت بمطبعة الرابطة ببغداد.

جناح ... المثل الاعلى

لحسن عزت - ١٦٨ صفحة - طبع دار الكشاف ببيروت

يقول المؤلف: «الحقيقة التي يجب ان نضعها في اذهاننا هي ان سيرة جناح جزء هام من تاريخ الباكستان السياسي، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا انه لمن الضروري لمن يريد الدراسة الصحيحة لتاريخ هذه الدولة ان يدرس اولا سيرة هذا العملاق الجبار الذي لولاه ما استطاع المسلمون ان يحققوا هذا الحلم الذي راود اذهانهم حقبة طويلة من الزمان. فاذا درسنا حياة جناح فقد درسنا الشيء الكثير عن حياة الباكستان.»

جولة الأديب في شهر

ننشر فيما يلي مختارات من القصائد التي القاها شعراء لبنان ترحيبا بالأمير سعود بن عبد العزيز ضيف لبنان .

الى اخواني العرب

التوجيه الكريم الذي تفضل سمو الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، فاملى نصه على الاستاذ عفيف الطيبي صاحب جريدة اليوم لمناسبة حلول الذكرى الثامنة لتأسيس الجامعة العربية :

•

لقد كانت الجامعة العربية استجابة صادقة من الشعوب العربية لشعورها المشترك نحو الهدف الاسمى الذي يسعى اليه كل عربي مخلص لوطنه العربي الكبير وهو الوحدة العربية الكبرى التي نسعى ونعمل من اجلها ونمد ايدينا مخلصين صادقين الى كل مؤمن بها ومكافح في سبيلها وداعياً اليها ولهذا فالجامعة العربية اليوم هي الفكرة المجسمة التي تتجمع فيها احاسيس كل عربي في أية بقعة كان من هذا العالم شاركت فيها الحكومات العربية شعوبها واجمعت عليها كلمتها وهي اليوم الرمز المقدس الذي يجب علينا جميعاً أن نتجه نحوه ونلتف حوله ونتعاون عليه . لهذا كله فانني أنتهز هذه الفرصة للذكرى الثامنة لها فاحييها وأحيي فيها أملنا المنشود وغايتنا المقصودة وآمالنـــا المشتركة التي تتجمع عليها قلوب العرب في دنياهم الواسعة واطلب من اخواني العرب في كل مكان أن يساعدوا على إنماء فكرتها وبث دعوتها والاخلاص للغاية السامية التي ترمز هذه الجامعة اليها والتي تعد الجامعة في شكلها الحالي مقدمة لها ووسيلة اليها ، أدعو هؤلاء جميعاً الى كل ذلك وأسأله تعالى ان يوفق القائمين عليها والعاملين في سبيلها والداعين الى مبادئها والمؤمنين برسالتها الى كل ما فيه مجد الامة العربية وعزها ونهضتها.

سعود بن عبد العزيز

هي وحدة العرب

•

اليوم قد فتشت بين دفاتري وبحثت فيها عن شبابي الغابرِ
فاطل من بين السطور وقال لي لبيك إني غائب كالحاضر
ما دام قلبك بالمحبة عامراً فبياض هذا الرأس ليس بضائر
أيكون هذا المهرجان وأنثني عن وقفة فيه تكحل ناظري
من سفح لبنان الى ذرواته ألق يموج على أكف أزاهر
تمشي الرياضُ الى الرياضِ كأنها في موكب الأدهار عرس الخاطر
باسم الأمير تهافتت سكرى منىً كهزار فجر في ربيع عاطر

***

يا ابن السعود أتيتنا متجلبباً بعجيبة الزمن العجيب الحائر
فجمعت حولك كل طرف شارد وجذبت نحوك كل قلب نافر
وجعلت حبك دينهم في لحظة هيهات أن تلقى بها من كافر
ومحوت في طول البلاد وعرضها ظل التعصب بابتسامة ساحر
فرأيت في الانجيل وجه محمد وسمعت في القرآن صوت الناصري

***

ارئيسنا المحبوب بورك غرسك الماضي فعززه بغرس الحاضر
هي وحدة العرب التي كانت لنا حلماً فان صحت فحكمة قادر
أسد الجزيرة في العرين يصونها والشبل في لبنان خير مؤازر

***

والآن حسب الدار انكما بها فكلاهما للدار اكرم زائر
اما أنا فكما يشاء بي الوفا من صابر او حائر او ثائر
فعلى ربى لبنان تخفق اضلعي وعلى ربى نجد يرفرف خاطري
نجواي، يا نجواي، خط سطورها المقدور والمعنى بقلب الشاعر

نقولا فياض

بين لبنان ونجد

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار
شعر قديم

طرب الاملود في الدوح ولان منذ ما هب عرار في الجنان
يا عباءات تحملن الشذا من روابي نجد حياك اللبان
بين لبنان ونجد صلة بنياط القلب والعين تصان
ما بنى آل سعود للعلى نحن احللناه في عالي المكان
حضر الصحراء عقلا ويداً قولنا قولهم يوم الطعان
بيننا حلف حميم نصه فوق ما خط على الطرس بنان
لرسالات الهدى مدخر شمخة الرأس به والعنفوان

***

قل لذاك الليث في آجامه جارك الارز له فيك افتتان
يدنا في يده نبني العلى وعلى عقبيه يرقد الزمان
ان تك الرأس فلبنان النهى او تك الرمح فلبنان السنان

سعيد عقل

ربيب النسر

صدقتك ما سعيت الى سواكا وأشهى ما نهضت له لقاكا
كفاني ما لقيت من الليالي وما عاركتهن ، وذا بذاكا
أنفت فما أقيم على هوان وهل يرضى هواناً من اتاكا
أمير البهجة الكبرى حبانا بكل مباهج الدنيا سناكا
ولي قلب تتيمه المعالي وليس يشوقه الا علاكا
اذا أطلقته لهوى تمادى فقيدني وما أبغي فكاكا
ترحل ينشد النعمى ربيعاً فحط رحاله لما رآكا
لأنت على ربى لبنان عيد يطالعنا بمشرقه بهاكا
كأنك في جبال المجد نجدٌ ونجد للعروبة قد نماكا
بشير السعد في عيني سعود يطل به علينا ناظراكا
تقول البيد عنك لكل سار ندي الواح شيء من نداكا
تزاحم في يديك مرفرفات مكارم قد حبكت لها شباكا
فتى الأمجاد لست أزيد قولا على قولي فان لها أباكا
روى الركبان على أسد غضوب رأوا فيه اذا يرضى ملاكا
مليك روّع الآفاق فتحاً وعاركها ولم يفتأ عراكا
تحف بركبه منه كماة سنابك خيلها تطأ السماكا
عزيز قال للصحراء : كوني نعيم العز : فانفجرت كذاكا
أبا الاشبال في الدنيا حديث عن الامن المخيم في حماكا
اذا هبت رياح عاصفات وصحت بها تهب على هواكا
وان عبست غيوم حالكات بسمت لها فبددها حجاكا
ولي العهد ما طيب الخزامى وما نفح الرياض سوى شذاكا
دعاك رجاء لبنان فلبت شمائلك العراب أخاً دعاكا
هو الامل الذى كنا ننادى اذا ما اليأس اعيانا ارتباكا
على لبنان من كفيه نعمى سكوب ما عرفت لها امتساكا
لقد كملت صفاتكما كمالا تسامى فاصطفاه واصطفاكا
يضمكما ولاء قد تجلى فأكرم في ولاه وفي ولاكا
إخاء لا ينال الدهر منه تشد به عراه في عراكا
إخال الباسقات اذا تهادت غصون الأرز خضراً في ذراكا
ربيب النسر حلق وامض نسراً الى أوج معاقله مناكا
ترآى السعد يوم نزلت بشري على وطن تهل به رؤاكا
ويوم طلعت في لبنان وجهاً به الأضواء تحتبك احتباكا
يقول الفجر في لقياك مرحى لأنسام الربيع فيا هناكا
ذؤابات النجوم اذا تدلت مدلهة تدغدغها يداكا
سألت البيد عنك فحدثتني بان رحابها تهوى مداكا
طويل العمر يابن طويل عمر فديت السيف يخفق في لواكا

ابو ليلى

صلاح اللبابيدى

أنت المؤمل

سعود ! يا الف أهلا. كل جارحة من صدر لبنان ضمت قلب مفتون
مواكب من أهازيج وزغردة ملء الفضاء وطرق من رياحين
لم يتركوا زهرة تغفو على غصن عروا البساتين من زهر البساتين
لما طلعت عليهم قال قائلهم أفتح مكة أم عيد الشعانين
آفاق نور تهادى في مسابحها سجع الأذان وأجراس الرهابين
سعود ! يا صارماً في كف معركة حيناً، ويا بسمة في ثغر محزون
سعود ! يا أملا يفتر عن أمل يضفي الشباب على العرب الميامين
فيستردون من «حطين» روعته ويغرسون العوالي في فلسطين
أنت المؤمل يا ابن المستوي شرفاً فوق الكواكب في عز وتمكين
عبد العزيز الذي يحيا الرجاء به تبارك الله من دنيا ومن دين
خذها اليك ولي العهد تهنئة نفح الرياض وتطريب الحساسين
أرزية النسج يزدان الخلود بها تبقى على الدهر في صدر الدواوين

بشارة الخوري

عرش القلوب

قم تلفت الى سناك الجواد فهو كالشمس ، دائم الميلاد
جئتنا فالذرى التفاتات حلم رصعتها يد الربيع المنادي
وعلى الصبح من صلاة الملايين افترار الاطياب في كل واد
قبلة الله ارضكم يا سعود المجد فارفل بنشوة العبّاد
كلما اطلع المؤذن صوتاً باكرتكم في نجد نجوى النجاد
وأطل التاريخ يسأل عن « بدر » غداة الصليل والارعاد
كان عبد العزيز عند مطل الشمس عند انهمار وهج الجهاد
يتخطى مطارح الوقعة البكر وحيداً على الغد المتهادي
فيه من « بدر » عصفة الاسل السمر تنادي محمومة ما تنادي
يسترد المجد السليب ويعلي راية نكست على الاحقاد
اي بعث ترى ؟ واي نشور توج الحق بعد طول اضطهاد
جئتنا ، فالعبير في موكب الصحو حداء المطي عبر البوادي
صاحب التاج ، سيفه انت في الجلى اذا ما يروغ شر العوادي
عرف الدهر فيك صنو البطولات عقيد الكفاح، رمز الرشاد
توسل القول من فم ينثر الدر حديث السمار في كل ناد
فكأن الندي سوق عكاظ وكأن القطاف للرواد
قل لعبد العزيز : ابشر ابا الغيث رأيت الولاء سمح المراد
قل له : يا ابي رأيتك تزهو فوق عرش من القلوب الحوادي
لم يشب حبنا الاذى ، فاذا الناس سواء ، في موكب الاعياد
باكرتنا في ارض لبنان دنيا من جمال ورونق ووداد
فانا ههنا على الماء والظل رسول الاشاوس الامجاد
خفق اليوم بالحنين الى الآتي وهلت بشائر الاتحاد
ما اراني تركت ارض بلادي ان لبنان روضة في بلادي

صلاح الاسير

فيك مناط آمال

احيي فيك يا يوم الغدير جلال الملك في اوج السرير
وسيف الحق في الصحراء يحمي على الامجاد ميراث العصور
على عبد العزيز سلام ربي يردد في العشي وفي البكور
سعود أتى الربيع فكنت فيه على لبنان نوراً فوق نور
فلا تعجب لبسطة راحتيه وملء فؤاده طرب وشوق
وقد لاقاك بالجمع الغفير وتسبيح الرضى ملء الضمير
ففيك مناط آمال كبار تجيش بها العروبة في الصدور
وانت ولي مملكة تناهى اليها كل مكرمة وخير
واحلام البطولة في ذراها كأحلام اللآلي في البحور
تشوق كل فذ يعربي كتشويق القلائد للنحور
سعود لك العلى ولك الايادي واخلاق كانفاس الزهور
اذا منع الحياء لها ظهوراً فما منع الظهور على العبير
سعود صفحت عن زلات دهري بما احرزت من شرف خطير
سعود تباركت فيك القوافي ونامت من رضاك على حرير
فان طلعت على الدنيا بحسن فكل الحسن من وحي الامير

نقولا فياض

ابراهيم ناجي

طوى الموت في برديه ابراهيم ناجي ، وما اكثر ما طوى؛ واسكت صوت هذا البلبل الغريد وما اعذب الصوت الذي اسكته. فبعد اليوم لن نسمع صوت ابراهيم شاعراً ولا خطيباً ولا محاضراً ولا صديقاً حانياً ولا رؤوفاً مواسياً، فقد سار مع السالفين وصار بين الذاهبين وسبحان من يغير ولا يتغير.

كان ناجي فلتة من فلتات الزمن ، يسع الدنيا والدنيا لا تتسع له ، يقرأ ويدرس ولو استطاع لقرأ افكار الناس قبل ان يسطروها على الورق حتى لا يتخلف يوماً عن ركب الفكر ؛ يقف بقدمين راسختين في ميادين قل ان تجتمع لفرد : في الطب ومستحدثاته، في الادب ومستطرفاته، في الشعر واتجاهاته، في علم النفس ومبهماته ، في الفن ومناهجه ، في الفلسفة ودروبها ، في اللغات وآدابها ومعجماتها ، فكانت حياته دائرة معارف تسعى على اثنتين ، وكان يهب كل شيء لمن يطلب وبلا ثمن .

لقد كان ناجي انساناً من هامة الرأس الى اخمص القدم . لا ينفر منه من يلقاه ولا يعرض هو عن احد . جعل الانسانية له هادياً يستلهمها في الغدو والرواح ، وكم غدا وراح .

لم يكن يتخلف عن اداء عمل ، بل لقد كان يبادىء هو مقداماً مغامراً . وكم ضيع في سبيل ذلك من مال ومن راحة ومن سعادة ومن وقت هو في حاجة اليه . بل لقد حرم اسرته من شخصه لانه صار مشاعاً بين الناس جميعاً يتنازعه الادباء والشعراء في محتفلاتهم وانديتهم ورجال الفن في مجالسهم وندواتهم ، واهل العلم في مؤتمراتهم، والصحفيون في صفحات منشوراتهم، وكان يجلس في القهوات وينتحي من المشارب ناحية ليكتب مقالا كلف كتابته ، او يخط محاضرة دعي الى القائها او ينظم قصيدة في موضوع ما ، او يقرأ كتاباً يجب ان يعرضه على القراء. وكل هذا يعمله ناجي بالمجان، لا يطلب مثوبة ولا يرتجي ثمناً ، بل لقد سطا الناس على ادب ابراهيم ناجي وهو حي ، ونسبوه الى انفسهم بمشهد منه ، ولم يكن هذا ليغضبه انما كان يثير فيه روح الفكاهة الحبيبة التي لن نجدها بعد اليوم .

ولولا ان الحياة اصطلحت على الركون الى الكرى ليلا ، لما وجد ناجي لنفسه خلوة . فقد كان مشتتاً موزعاً مقسماً ، يعرف انه ملك للانسانية جمعاء ، فلم يكن يبخل على احد بشيء مما وهبه الله. حتى صحته اسلمها للداء في غير اهتمام لكي يستطيع ان يبرئ الناس مما حل بهم من سقام .

وقبل ثلاثة اعوام ألمّ بابراهيم ناجي داء عضال قال الاطباء المعالجون انه مهلك، واكره ناجي على الاعتصام بفراشه في غير حراك حتى يتم له البرء . وزرته في ذلك الوقت بين زمرة من اصدقائه ، فكان يتقلب على الفراش كأنه يتقلب على جمر ، لا من برحاء الداء، بل من عجزه عن ان يمارس نشاطه المعهود في خدمة الانسانية واسعادها .

وفي السنوات العشر التي عرفت فيها ناجي ، عرفت فيه الوداعة الكاملة في غير انفة او ادعاء ، ولقد كان يأتيه ادعياء للادب او للشعر ، فيفتح لهم صدره ، ويفسح لهم وقته، ويدأب في توجيههم وتعليمهم في صبر معجب معجز ، حتى اذا صاروا شيئاً رموه بسهامهم وهي ذات سموم . وما كان ذلك ليثنيه عن طبيعته ، فلا ينفك يحيط نفسه بهؤلاء التلاميذ الكثار ، ويقوم بينهم معلماً وناصحاً في غير مطلب ذاتي .

وقد ظل ناجي يحرق شمعة حياته من اطرافها جميعاً حتى انطفأ السراج ذات مساء ، وصحا الناس على حقيقة مروعة هي ان ابراهيم ناجي الذي الفنا صحبته وسعدنا بعشرته وجالسناه وآخيناه وعرفناه قد مضى الى غير رجعة ، وان وجهه الحبيب قد احتجب وراء سحابة كثيفة وان ناجي لن يكون بعد اليوم سوى كلام مكتوب وذكرى عذبة تعمر بها القلوب فسلام على ابراهيم.

القاهرة — **وديع فلسطين**

حول معركة الادب

لم تنقض بعد معركة الادب التي قامت بعد احتجاب مجلتي الرسالة والثقافة . بل اني اراها تبدا .. وما هذا الذي اثير الا بوادر لها وبشير بثمراتها . فليست المسالة مسالة مجلتين احتجبتا ، وانما هو وعي ادبي او ثورة ادبية يجب ان تتاجج نارها ويشتد اوراها ، وما كان موت المجلتين الا فرصة لجنازة ادبية يشيع فيها الكتاب ..

ومن التوفيق والسداد ان الادباء لم يوجهوا الامر بتقبل العزاء ومشاطرة الاحزان ، بل امسكوا بالاقلام كما يمسك الاطباء بالمشارط، وراحوا يشرحون جثة الفقيد ليكشفوا بواعث الوفاة ويقفوا على اسباب الانيميا الخبيثة التي اودت بحياته .

ولكن بعض تلك المشارط حاد عن موطن العلة ، وجعل يطعن هنا ويجرح هناك ، كمشارط طلبة حديثي عهد بالعمل في المشرحة . فقد هاجم بعضهم الاساتذة الكبار جملة واحدة ورموا ادبهم كله بالعقم والجمود والبعد عن الحياة ، وادعوا ان القراء قد انصرفوا عنهم واقبلوا على ادب الشباب الجديد .

ولا بد من السؤال عن هذا الادب الجديد الذي لبى به الشباب حاجة المجتمع الى ادب يعبر عنه ويصور حياته. والواقع الصريح ان ازمة الانتاج الادبي التي تتمثل في عدم اتصاله بالحياة وعدم الصدق في التعبير عن تفاعل نفس الاديب مع الواقع ـ هذه الازمة واقعة في حياتنا الادبية كلها ، وبعض الشباب ـ الذين يطعنون في ادب الشيوخ ويعيبون عليه العزلة ـ لا ادب لهم ، متصلا بالواقع او منقطعاً عنه .. والرسالة والثقافة لم تموتا لان كبار الادباء كانوا يكتبون فيهما ، ولا شك ان الادب الحي القليل الذي يكتبه اولئك الكبار هو اكثر الوان الكتابة رواجاً وانتشاراً بين جماهير القراء . واذا كان في ادب الشيوخ عيوب ، وهي موفورة ، فان اكثر الشباب يشعر بالفراغ والتفاهة فيلجأ الى وسائل التسلية والاثارة ..

وقد فهم بعضهم من الدعوة الى ادب جديد ان التراث يجب ان ينبذ . وهذا فهم ظاهر الخطأ . فنحن في حاجة الى دراسة آدابنا العربية في جميع عصورها والانتفاع بما فيها من روائع خالدة، كما نحتاج الى الاستفادة من الاداب الاجنبية ، لا نستطيع ان نستغني عن هذه او نتخلى عن تلك . وانما يجب ان نأخذ من كل ادب ، قديم او حديث ، اجنبي او موروث ، على الا نختزن ما نأخذه ثم نقذفه كما هو ، كما تصنع عربات الرش .. ولكن يجب ان نهضمه ونتمثله ونحيله الى غذاء لشخصيتنا الادبية الاصلية، المرجوة في التعبير عن واقع حياتنا وتقويم مثلها.

وهنا نستطيع ان نحدد ميدان المعركة كما ينبغي ان يكون . يجب ان تنحى « عربات الرش » كي ينفسح الطريق للمواهب الاصيلة .

ومن امثلة القديم الذي لا يزال يتحكم ويطغى على الاحساس بما يجري في الحياة الواقعة، ما جاء في مقالة الاستاذ احمد حسن الزيات التي اعلن بها احتجاب الرسالة ، قال :

« ولكن الله الذي يحبب في سبيله الى المجاهد الاستشهاد وليس في مزوده الا حفنة من سويق او قبضة من تمر .. الخ »

يقول الاستاذ ذلك وهو يعلم ان الجندي الآن لا يذهب الى ميدان القتال وفي « مزوده سويق .. » واننا الآن لا نأكل السويق ..

والزيات كاتب لم يعتزل المجتمع في كتابته ، فله مقالات كثيرة في حياتنا الاجتماعية ، وقد طرق فيها بعض النواحي بقوة كان لها صدى وقت ظهورها وهو متقدم الفكر ، وكانت له جولات تقدمية في اللغة بعد تعيينه عضواً بالمجمع اللغوي .

ولكنه طابع ادبي غلب على قلمه ، لا يستطيع التحرر منه حين يكتب ، لم يستطع في ذلك التركيب ان يمنع القلم من الفرار الى الزمن الذي كان اهله يأكلون السويق ..

ومما يؤثر عن مصطفى صادق الرافعي انه كان قبل ان يبدأ في الكتابة يلجأ الى تصفح كتاب من الكتب القديمة التي يعجب بأسلوبها ، ويتشبع بجوه ، ثم يكتب .. ويذكرون ذلك في صدد الاعجاب بالرافعي والتدليل على بلاغته ! ولم يكن ذلك في الواقع الا اندماجاً في جو التقليد ، وامعاناً في الترديد، وفراراً من حاضر يتطلب استيحاءه في اسلوب جديد .

ولم تستشهد الرسالة الا لانها كانت لا تزال ترى الناس يأكلون السويق ، وكانت تفترض في كتابها انهم يأكلونه .. وان كانت هي لا تأكله، بدليل انها استشهدت وفي «مزودها» ضيعة وقصر في المنصورة ، و « فيلا » يجري العمل في انشائها بمنيل الروضة .

« اخبار اليوم » — عباس خضر



٢٥ مارس ١٩٥٣ – توفيت الملكة ماري جدة الملكة اليزابيث ملكة انجلترا الحالية .

– قررت اللجنة الفرعية للجنة مشروع الدستور المصري بالاجماع ان يكون نظام الحكم في مصر جمهوريا على ان يتم تقرير ذلك عن طريق استفتاء الشعب .

٢٧ – اشتد القتال في كوريا وتحاول القوات الحليفة استعادة المراكز التي استولت عليها القوات الصينية .

٢٨ – افتتح مجلس الجامعة العربية دورته الثامنة عشرة في القاهرة وقد قرر قبول ليبيا عضواً في الجامعة .

– وصل المارشال مونتجمري الى الولايات المتحدة تلبية لدعوة الجنرال ايزنهاور

– انتهت في وشنطن المحادثات الفرنسية الامريكية بشأن قضية الهند الصينية وقد جرت بصورة سرية . وقد بحث ايضا رينه ماير رئيس الوزارة الفرنسية وجورج بيدو وزير الخارجية مع الحكومة الامريكية العلاقات بين العالم الغربي والاتحاد السوفياتي وسلامة اوروبا الوسطى والشرق الأوسط والاتحاد الاوروبي والسار والجيش الالماني.

– اذاع راديو الصين ان الحكومة الصينية تقبل اقتراح قيادة قوات الامم المتحدة لتبادل محادثات الهدنة وقد جاء هذا رداً على الاقتراح الذي تقدم به الجنرال كلارك منذ خمسة اسابيع .

٣١ – شرعت بريطانيا بتبادل وجهات النظر مع امريكا وسائر الدول التي لها قوات مقاتلة في كوريا حول مقترحات رئيس الوزارة الصينية الأخيرة لحل عقدة الخلاف المتعلقة بمفاوضات الهدنة ،

اول ابريل ١٩٥٣ – وافق مجلس الأمن بالاجماع على تعيين داغ هامرشولد وزير الدولة السويدي للشؤون الخارجية في منصب الأمين العام للامم المتحدة خلفا لتريغفي لي الأمين العام المستقيل وسيعرض قرار المجلس على الجمعية العمومية لاقراره .

٣ – أعلن في باريس ان حكومة كوريا الشمالية استجابت لوساطة وزير خارجية الاتحاد السوفياتي فاطلقت سراح الاربعة عشر مدنيا فرنسيا الذين اعتقلوا في يونيو ١٩٥٠ وبينهم ثلاثة من موظفي السلك الدبلوماسي .

– عقدت لجنة الحاكم العام للسودان اول اجتماع رسمي لها في الخرطوم للنظر في الخطوات الواجب اتباعها لاجراء الانتخابات العامة .

٤ – توفي في البورتغال كارول ملك رومانيا السابق .

– صرح انطوني ايدن وزير الخارجية ان بريطانيا مستعدة للاقاة كل محاولة مخلصة للتقريب بين الشرق والغرب .

٦ – بدأت في كوريا محادثات تبادل المرضى والجرحى من اسرى الحرب .

– أعلن ان وزير الامن السابق في الاتحاد السوفياتي اغناتييف ومساعده قد اعتقلا بعد أن اطلقت الحكومة سراح الاطباء الموقوفين بتهمة الخيانة وتدبير قتل زعماء الاتحاد بعد ان تبين لها بطلان التهمة وقيام رجال الامن بتلفيقها

٧ – توفي الفيلد مارشال شبيرن احد كبار القادة النازيين في عهد هتلر وهو الذي اشرف على الغارات الجوية العنيفة على لندن عام ١٩٤٠ وكانت محاكم الحلفاء قد برأته من جرائم الحرب عام ١٩٤٩ .

٩ – وصل الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية الى بيروت في زيارة رسمية للبنان ويغادره بعدها في زيارة رسمية لسوريا.

– بعد اشتداد النزاع بين الدكتور مصدق والشاه وتوتر الحالة في ايران قام انصار الطرفين بمظاهرات في طهران ووقعت اشتباكات بينهم .

١١ – وقع المتفاوضون في كوريا اتفاقا بتبادل اسرى الحرب الجرحى والمرضى وسيسلم الصينيون للدوليين ٦٠٠ أسير في مقابل ٥٨٠٠ يسلمهم الدوليون .

– تم في صحراء نيفادا تفجير القنبلة الذرية الخامسة في سلسلة التجارب الذرية التي تجريها امريكا منذ شهرين .

١٣ – اذيع من موسكو بلاغ رسمي عن اجتماع السفير البريطاني الجديد غاسكوين بمولوتوف وزير الخارجية السوفياتية جاء فيه ان الاجتماع دام ٥٠ دقيقة وجرى البحث حول الافادة من الجو المؤاتي الراهن وايجاد حل لعدد من الامور المتعلقة مباشرة بين البلدين البريطاني والسوفياتي .

١٤ – تأزمت الحالة في ايران تأزما خطيراً وكثرت المظاهرات منها من يهتف للشاه ومنها من يهتف لمصدق او لحزب « توده » ووقع عدة قتلى وجرحى .

١٦ – بينما كان الجنرال بيرون رئيس الارجنتين يخطب في احتفال عام انفجرت قنبلتان قريبا من المكان الذي كان فيه فوقع بعض القتلى والجرحى واندفعت الجماهير بعد ذلك فاضرمت النيران في ابنية الحزب الراديكالي المعارض للحكومة .

١٧ – اقال غلام محمد حاكم الباكستان العام خوجة ناظم الدين من رئاسة الوزارة وكلف محمد علي السفير في وشنطن تشكيل الوزارة الجديدة .

– استدعت حكومة الاتحاد السوفياتي سفيرها في لندن غروميكو وعينت خلفا له جاكوب ماليك المندوب السابق في هيئة الامم.

١٨ – صرح خواجه ناظم الدين رئيس وزارة الباكستان انه لا يزال يعتبر نفسه رئيسا وبان الحاكم العام لا يملك سلطة شرعية تخوله اقالته

٢٠ – وافق الجانبان المتحاربان في كوريا على استئناف مفاوضات الهدنة العامة ابتداء من ٢٥ الشهر الحالي .

٢١ – سافر الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية الى القاهرة في زيارة رسمية لمصر

٢٣ – احتلت القوات الشيوعية المنطلقة من مملكة الفيتنام حوالي ثلث مملكة اللاووس وتقول القيادة الفرنسية ان الزحف الحالي هو اعظم زحف شيوعي عرفه جنوب آسيا .

– برح الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية سوريا عائداً الى الرياض .

٢٥ – استقال الجنرال رايلي كبير مراقبي الامم المتحدة للهدنة في فلسطين.وقد ارتاحت الاوساط العربية لذلك .

٢٧ – بدأت المحادثات البريطانية المصرية لبحث قضية جلاء القوات البريطانية عن قنال السويس .

دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت
تليفون 98 - 35